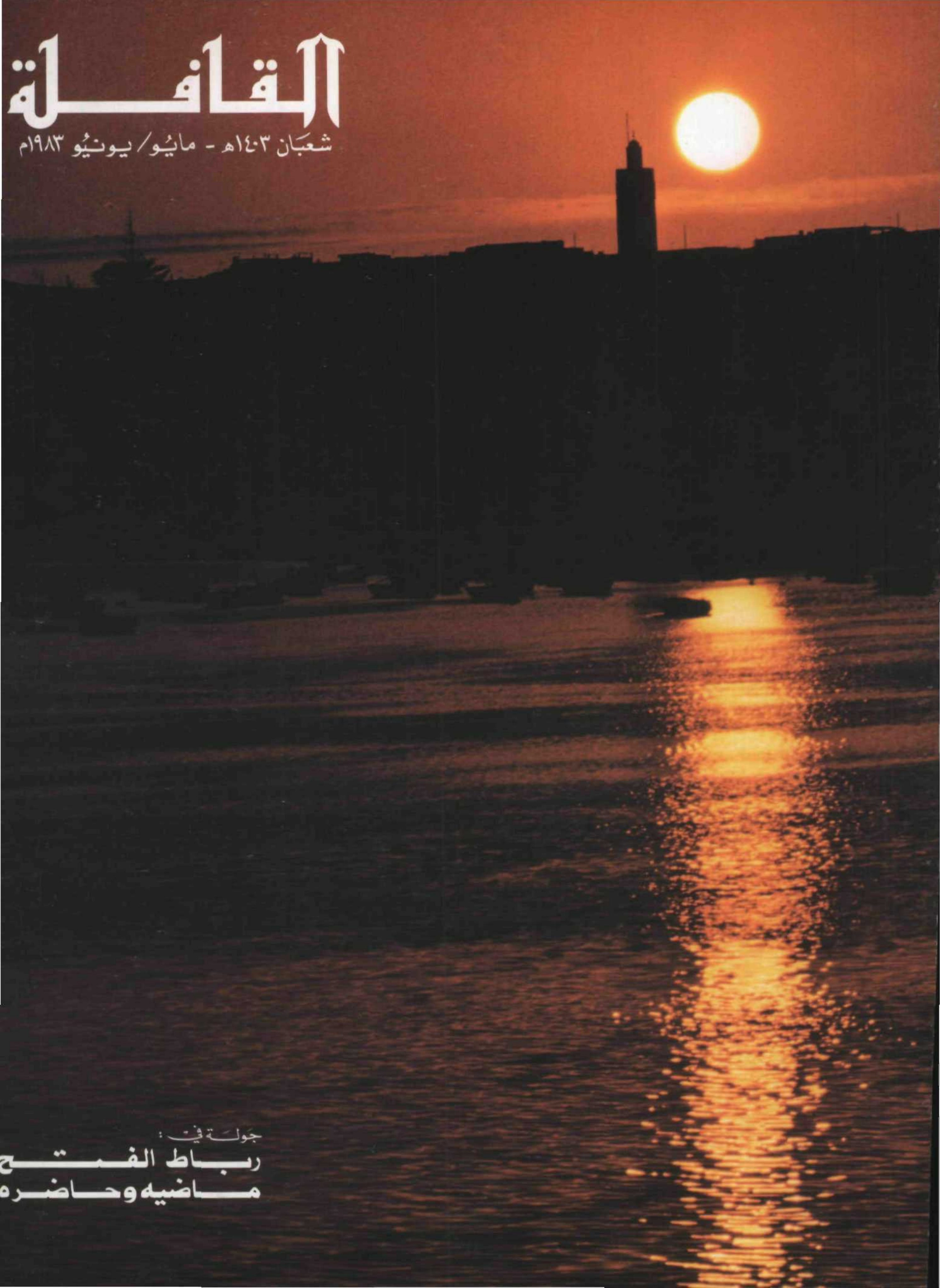

القافلة
شعبان ١٤٠٣هـ - مايو/ يونيو ١٩٨٣م
جولة في:
رباط الفتح
ماضيه وحاضره

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ماينشر في القافلة يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

العدد الثامن / المجلد الحادي والثلاثون

شعبان ١٤٠٣هـ - مايو / يونيو ١٩٨٣م

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام

المدير المسؤول: إسماعيل ابراهيم نواب

رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي

المحرر المساعد: عوني ابوكشك

صورة الغلاف:

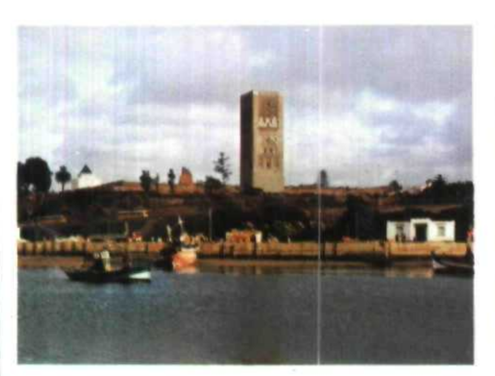
غروب الشمس على نهر أبي رقراق من فوق هضبة قصبة الوداية.
راجع مقال - « جولة في رباط الفتح »
تصوير شيخ أمين

تصميم وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM

١ افتتاحية .... رئيس التحرير
٢ الحدود في الإسلام .... د. أحمد جمال العمري
٨ الجوانب المثالية في حضارة الإسلام .... د. عبدالفتاح محمد سلامة
١٠ المنتجات السعودية الصنع (ندوة) .... يوسف خالد أبو بثيت
١٤ معركة أدبية بين الصاحب بن عباد والمتنبي .... محمد المجذوب
١٧ القمر المهاجر (قصيدة) .... أحمد محمد العتوق
١٨ المعهد العربي لإنماء المدن .... د. محمد عبدالله الحماد
٢٠ جولة في رباط الفتح .... ابراهيم أحمد الشنطي
٣٠ إلى المتنبي .. في رحلته مع الحياة (قصيدة) .... اسماعيل عامود
٣٢ استجابة الجسم للضغوط النفسية (٢) .... د. محمد فوغلي فرج
٣٤ تطور أساليب الحفر في المياه العميقة .... يعقوب سلام
٣٨ ترفق ياموت (من حصاد الكتب) .... آمال حسين بغدادي
٤٠ أخبار الكتب
٤٢ كتب مهداة
٤٤ بيئة المغول وحياتهم الإجتماعية (٥) .... د. سعد حذيفة



١٠ المنتجات السعودية الصنع



٢٠ جولة في رباط الفتح



بسم الله الرحمن الرحيم

قــراء نـا الأعــزاء :

□ بصدور هذا العدد تكون قافلة الزيت قد أمضت من عمرها المديد ثلاثين عاماً ونيفاً، وهي تصدر اليوم باسم جديد هو "القافلة". وهذا التغيير البسيط في الإسم لا يغير نهجها واسلوبها ومنحاها وأهدافها التي سارت عليها منذ صدور أول عدد لها حتى اليوم.

لا شك أن ثلاثين عاماً من العمل المتواصل والجهد المستمر والعطاء المتنوع جعل لهذه المجلة مكانة في نفوس القراء مادة واخراجاً وطباعة يحسها ويقدرها كل من التصق بها سواء كان ذلك بمتابعتها قراءة أو الإسهام بالنشر على صفحاتها.

والقافلة باسمها الجديد سوف لن تألو جهداً في السير على النهج الذي أخذته على نفسها منذ صدورها لخدمة هذه البلاد العزيزة فكراً وأدباً وعلماً آخذة بمبدأ الالتزام، ولا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا إن الالتزام كان ولا يزال سبباً من أسباب استمراريتها، والله من وراء القصد □

عبد الله حسين الغامدي



بقلم : د. أحمد جمال العمري / القاهرة

تجلت حكمة الله سبحانه .. في أن يجعل لكل أمة شرعة ومنهاجا يتلاءم مع ما يحيون فيه من ظروف تضطرب بها بيئتهم ، ويتوافق مع ما يعتمل في مراجل طبائعهم وغرائزهم من نوازع وتشوقات ، ويتسق مع درجات المستوى الفكري الذي بلغته بهم مواكب الحضارة في ركب الانسانية ، لتحقيق الغايات العليا ، ومشارفة الكمال .

والشريعة الإسلامية خطط سماوية ، وتنظيمات الهية ، تذلل للانسان منافع الكون والحياة ، وتضع يده على أوضح المسالك التي بها يستطيع أن يمزج بين دوافع نفسه ، واندفاعات غرائزه ، وتلهف مشاعره وخلجاته ، بين كل ذلك ، وبين حركة الحياة من حوله ، بنواميسها اللامرئية ، التي ماتزال مغيبة عنه ، بعيدة عن منال كشف الانسان ، ولكنها مع ذلك تنظم الأسباب التي تتفاعل بين جنبات هذا الكون ، وتبرز النتائج التي قد يفاجأ بها المرء الشارد عن الحقيقة . وتمتاز شريعة الإسلام باتجاهاتها الايجابية نحو تحقيق العدل في كل صورة من صور التنفيذ لأحكام الشريعة ، لا نستثني من ذلك أعلى صورها في التعامل مع الله ، فبينما يخضع الانسان لتشريعات ربه ، وتنظيماته للحياة ، لا يؤدي بذلك عبادة لخالقه فحسب ، ذلك لأن الله غني عن العالمين . ولكن بسلوكه نسق الشرع يكسو بدنه نضرة الصحة والنعيم ، ويحفظ للحياة جسده من أن تهشمه عوامل التحطيم والتخريب ، وهو على عبادته تلك ، التي تتجه نحو مصلحته يتقاضى من الله جزاء على العبادة « **فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف** » .

فأهداف التكاليف مصالح الناس في دنياهم وأخراهم ، وارتباط الشريعة الإسلامية بالعقيدة والأخلاق ، يضمن لها الاحترام والتقديس من الحاكم والمحكوم ، فالحاكم راع وهو مسئول عن رعيته ، ومسئوليته خطيرة ومضاعفة ، لأنها صادرة عن الله ، وعن الناس ، وجزاؤه منها في الدنيا الحب والتقدير ، وفي الآخرة يحظى بنعمة فيمن يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله .

وإذا كانت العدالة الانسانية قوانين محددة تفسّر للناس على الالتزام بها ، فان الشريعة الإسلامية تعتمد على قاعدة أخلاقية عريضة ، غرسها الإسلام في المجتمع ونماها ، وبنى على عمدها قواعده التشريعية ، ومن هنا يحيا الإسلام في المجتمع الرفيع ، الذي يحقق للانسان عزته وكرامته ، ويضمن له حقوقه الحيوية ، ويتعاون معه للوصول إلى مقاصده وأهدافه المنسقة مع الشريعة والكون والحياة .. وفي هذا البحث سنتناول :

• ما هي الحدود ؟
• ما هي الحكمة الالهيــة في تشريع هذه الحدود ؟
• ما مصادر الشريعة الإسلاميـة ؟
• ما مقاصد الشريعــة في الحفاظ على الضرورات الخمس للانسان ؟
• وأخيرا .. هل الحدود في الإســلام جوابر أم زواجر ؟

ما هي الحدود ؟

من المؤكد أن أسمى مقاصد الأديان السماوية .. الحض على حفظ الضرورات الخمس للانسان .. وهي :

■ الدين ■ النفس ■ العرض ■ العقل ■ المال .. لأنه لا يصلح المجتمع البشري إلا بالمحافظة على هذه الكليات الخمس الضرورية لحياة الانسان ، فما من دين سماوي إلا ويدعو إلى الاعتصام بالدين والدفاع عنه ، والثبات عليه ، وعدم الالحاد فيه ، وما من دين سماوي إلا ويحض على صيانة النفوس ، وتحريم الدماء بغير حق ، وما من دين إلا ويدعو إلى المحافظة على الانسان وصيانة الأعراض ، وما من دين إلا ومن مقاصده المحافظة على هذه المنحة الربانية وهي العقل ، وما من دين إلا ويحث على صيانة الأموال وعدم أكلها بالباطل .

ولا يوجد دين سماوي يبيح الشرك ، وعبادة غير الله أو يصفي الانسان المكلف من التزام العقائد والعبادات والمعاملات التي شرعها الله ، أو يبيح للانسان التخلي عن ديــنه إلى غيره من النحل البــاطلة ، والمذاهب الفاسدة ، اللهم إلا إلى دين أكمل منه ، وأفضل وأوفى بحاجات البشر دنيا وأخرى .

وإذا كانت الشرائع السماوية سواء في المحافظة على هذه الأصول الخمسة التي لا صلاح للمجتمعات بدونها .. فان الاسلام .. وهو الدين العام الخالد ، والشريعة التي هي خاتمة الشرائع ، والمكملة لها ، والتي جاءت صالحة لكل زمان — من ذلك بالمحل الأرفع ، والمنزلة التي لا يدفع عنها . فقد عرض الإسلام في أصله .. القرآن والسنة ، لهذه الكلمات بالشرح والتفصيل ، والمحافظة عليها ، والصيانة لها بما لا نعهده في شريعة أخرى سماوية ، ولا في أي قانون وضعي ، وليس ذلك بالأمر المستغرب ، بل هو الأمر الذي تنساق إليه العقول ، ويتمشى مع قواعد التدرج في التشريع ، لأن من شأن الشرع الخاتم والمكمل ، والذي ليس بعده شرع أنه يأتي على غاية من الكمال والاستيفاء ، والعموم والشمول .

والإسلام — حينما عنى بهذه الكليات الخمس ، لم يكتف في العمل على احترامها ، وعدم مخالفتها بالأجزية الأخروية — كما هو الشأن في بعض التشريعات الأخلاقية في الشرائع السماوية ، ولا بالعقوبات غير الرادعة ، والزاجرة من معاودة الجريمة — كما هو الشأن في القوانين الوضعية ، ولكنه جمع بين الأمرين ، الجزاء الأخروي الذي توجل منه القلوب ، وتقشعر الأبدان ، والعقوبات الدنيوية الزاجرة الرادعة ، التي تحول بين الجاني وبين اقتراف الجريمة ، أو بينه وبين معاودتها وهذا النوع من العقوبات هو ما يعرف في لسان الشرع ، وعند فقهاء الشريعة « بالحدود » .

والحد في اللغة — كما جاء في لسان العرب — الفصل بين الشيئين لئلا يختلط أحدهما بالآخر ، أو لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ، وجمعه حدود ، وفصل ما بين كل شيئين حد بينهما ، ومنتهى كل شيء حده ، ومنه أحد حدود الأرضين ، وحدود الحرام ، وحد الشيء من غيره يحده حدا ، وحدده ميزه . وحد السارق وغيره ما يمنعه من المعاودة ، ويمنع أيضاً غيره من اتيان الجنايات ، وجمعه (حدود) .

قال الأزهري : والحد حد الزاني ، وحد القاذف ونحوه مما يقام على من أتى الزنا أو القذف أو تعاطى السرقة .. قال : فحدود الله عز وجل ضربان :

• ضرب منها حدود حدها للناس في مطاعمهم ومشاربهم ومناكحهم وغيرها مما أحل وحرم وأمر بالانتهاء عما نهى عنه منها ، ونهى عن تعديتها .
• والضرب الثاني — عقوبات — جعلت لمن ركب ما نهى عنه ، كحد السارق ، وهو قطع يمينه في ربع دينار فصاعدا ، وكحد الزاني البكر ، وهو جلد مائة وتغريب عام ، وكحد المحصن إذا زنى وهو الرجم ، وكحد القاذف ، وهو ثمانون جلدة .. سميت حدودا لأنها تحد أي تمنع من اتيان ما جعلت عقوبات فيها .. وسميت الأولى حدودا لأنها نهايات نهى الله عن تعديها . والحد : المنع ، وحد الرجل عن الأمر يحده حدا منعه وحبسه .

• ومن هذه النصوص ندرك أن من المعاني اللغوية (للحد) : المنع والحجز ، والفصل بين الشيئين ، والنهاية التي ينتهي إليها الشيء .

أما الحد شرعا .. فقد ورد بمعنى التشريعات التي شرعها الله للعباد من الحلال والحرام ، وسميت حدودا لأنها فصلت وميزت بين ما يجوز وما لا يجوز ، وما يحل وما يحرم .

• ومن هذه الحدود معاص لا تقرب كالفواحش ، وفيها ورد قوله تعالى : « **تلك حدود الله فلا تقربوها** » (١) .

• ومنها ما لا يتعدى كالمواريث المعينة ، وتزويج الأربع ، وتحديد الطلاق بثلاث ، ومنه قول الحق : « **تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون** » (٢) ، وقوله تعالى : « **ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين** » (٣) .

• ويطلق الحد — في السياق المشرع أيضاً على العقوبات المقدرة ، المفروضة على بعض المعاصي والكبائر — كحد الزنا ، وحد السرقة ، وحد شرب الخمر ، وغيرها حقا لله تعالى ، ويجب على الامام اقامتها بعد ثبوت سببها إما بإقرار أو نية (٤) . فليس من حق الامام ، ولا من حق القاضي الاعفاء منها ، ولا من حق من لحقه ضرر أو أذى بسبب الجريمة ، كالمزني بها أو زوجها أو وليّها التنازل عنها ، ولا تجوز الشفاعة في الحدود بعد الوصول إلى الحاكم . وأجمع العلماء على أن التوبة لا تسقط (الحد) في الدنيا .

الحدود المتفق عليها بين علماء الفقه

حد الزنا ، حد القذف ، حد شرب الخمر ، حد السرقة ، حد الحرابة (قطع الطريق) ، حد الردة .

• على أن هناك بعض الجرائم — اختلف الفقهاء في وجوب الحد فيها أو — لا ، وهي (٥) :

جحد العارية ، شرب ما يسكر كثيره من غير الخمر ، القذف بغير الزنـــا ، التعريض بالقذف ، اللواط ولو بمن يحل له نكاحها ، اتيــان البهيمــة ، السحاق ، تمكين المرأة الحيوان منها ، ترك الصلاة تكاسلا ، الفطر في رمضان جهرا .

الحكمة في تشريع هذه الحدود

ان الباحث المدقق ، إذا نظر إلى الجرائم

والفواحش التي رتبت عليها الحدود ، يجدها جرائم شنيعة ، ومعاصي موغلة في الافساد ، وما من واحد منها إلا وهو مخل بأصل من الأصول الخمسة التي قدمناها ، والتي اتفقت عليها الأديان ، ولا غنى لمجتمع فاضل عن رعايتها ، والمحافظة عليها . فالردة مخلة بحرمة الدين ، والقتل مخل بعصمة الدماء وحرمتها ، والزنا والقذف به مخل بحرمة الأنساب والأعراض ، وشرب الخمر مخل بسلامة العقل وسلامة الأبدان ، والسرقة مخلة بحرمة الأموال ، وقطع الطريق مخل بحرمة الدماء والأموال والأعراض وحق الأمة في أن تعيش في ظل السلام والأمان . وهذه الجرائم والمعاصي — التي أوجب الإسلام الحدّ عليها ، يتعدى ضررها إلى الغير ، بل وإلى الأمة كلها ، كما أنها متفاوتة فيما بينها في الآثار السيئة والعواقب الوخيمة ، فمن ثم تفاوتت عقوباتها الدنيوية في نظر المشرع الحكيم .

ان الرعيل الأول من المسلمين ، لما أقاموا (الحدود) من غير تفريط فيها ، على الغني والفقير ، والشريف والوضيع ، والقريب والبعيد ، كوّنوا مجتمعا مثاليا فاضلا ، بل أفضل مجتمع عرفته الدنيا في تاريخها الطويل ، حتى استقر الأمان في الجزيرة العربية على سعتها وترامي أطرافها . لقد كان الواحد منهم يسير من أقصى الجزيرة إلى أقصاها لا يخاف إلا الله ، والذئب على غنمه ، وما كانوا يعرفون محاباة ولا مجاملة ، ولا تفريط في اقامة هذه الحدود ، وكيف ؟ .. وهذا هو قدوتهم وأسوتهم — محمد صلى الله عليه وسلم — يضرب لهم هذا المثل الأعلى في عدم قبول الشفاعة في الحدود ، والغضب على من كلمه في ذلك أشد الغضب .

روى البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة رضي الله عنها : أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلم رسول الله ، فقال : أتشفع في حدّ من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال : يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وأيم الله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها . وإنما خص النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فاطمة ابنته بالذكر ، لأنها أعز أهله عنده ، ولأنه لم يبق من بناته حينئذ غيرها ، فأراد عليه الصلاة والسلام بهذه المبالغة في اثبات الحد على كل مكلف وترك المحاباة في ذلك ، ولأن اسم السارقة وافق اسمها — رضي الله عنها — فناسب أن يضرب المثل بها .

• ان الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان .. أن الشرائع السماوية أنزلها الله للهداية والعمل بها ، وإلا فما الفائدة من نزولها إن لم نعمل بها ؟ .. والشرائع السماوية السابقة ، قد انتهت أزمانها واستنفدت الغرض منها ، ولم يبق إلا الشريعة الإسلامية المختصة بالعموم والخلود ، وهي التي حلت محل الشرائع السماوية السابقة ، فكان وجود العمل بها لزاما ولاسيما على المسلمين ، الذين التزموا بالإسلام عقيدة وشريعة ، وعلما وعملا . قال عز وجل :

— **« ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما » (٦) .**

— **« وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خسارا » (٧)**

— **« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » (٨) .**

ان الله تبارك وتعالى حكم بكفر من لم يحكم بما أنزل الله ، وحكم عليهم بأنهم هم الظالمون ، وأنهم هم الفاسقون ، وذلك في معرض احتكام اليهود إليه ، وأمره أن يحكم بينهم بما أنزل الله ، لا بما يوافقهم ، أو يحكم بينهم بما حرفوا وبدلوا أحكام التوراة . قال عز شأنه : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » (٩)** ثم قال : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون » (١٠) .** ثم قال : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » (١١) ..** وليس بين الآيات تعارض أو تخالف . فالظلم يطلق ويراد به أعلى أنواعه وهو الكفر ، وكذلك الفسق يطلق ، ويراد به الفسق الأكبر وهو الكفر ، فمن حكم بغير ما أنزل الله مستحلا ذلك ، راضيا به قلبه ، طيبة به نفسه ، فهو الكافر لا محالة ، وهو الظالم ، لأنه ظلم نفسه بتعريضها لغضب الله ، وظلم الناس بحرمانهم من ثمرات هذه الشريعة العادلة الحكيمة ، وهو الفاسق لأنه فسق عن أمر ربه ، وتمرد على شريعة الله ، وحارب الله ورسوله في الأرض . أما من لم يحكم بما أنزل الله ، إلا عن جحود وتهاون ، ومن غير أن يطمئن بذلك قلبا ، فليس بكافر وإنما هو فاسق ظالم .

ومعروف أن الظلم درجات ، وكذلك الفسق ، فهما يطلقان بمعنى الكفر ، ويطلقان ويراد بهما العصيان . عن ابن عباس رضي الله عنهما — قال في قوله تعالى : **« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »** .. من جحد ما أنزل الله فقد كفر ، ومن أمر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق (١٢) .

مصادر الشريعة الإسلامية :

وتستمد الحدود في شريعة الإسلام قوتها من مصدرين أصليين ، وأساسيين شريفين : هما القرآن والسنة .

• وأما القرآن الكريم ، فقد نص على كثير من الأحكام ، والتكاليف الشرعية ، ولاسيما في الأمور الاعتقادية ، والتشريعات العلمية ، التي لا تختلف باختلاف الأزمان والعصور ، كتوحيد الله وصفاته ، والأخلاق والآداب التي لا تتغير بتغير الزمان ، كالأمر بالعدل والصدق ، والنهي عن الظلم والكذب ، وأحكام بعض المعاملات ، وتحريم الخبائث ، كحل البيع وحرمة الربا ، والرهن والدين والزواج والطلاق ، وحرمة الخمر والميسر والسرقة والزنا وقطع الطريق ، والقذف ، وحرمة التعدي على الدماء كالقتل ، إلى غير ذلك من الأحكام التي نص عليها صراحة .

• أما السنة النبوية المطهرة .. أقوال النبي وأفعاله وتقريراته وصفاته الخلقية والخلقية ، ومن العلماء من يضيف إلى ذلك حركاته وسكناته في اليقظة والمنام .. وترجع أهميتها في التشريع ، إلى أنها مبيّنة للقرآن ، وشارحة له ، تفسر مبهمه ، وتبين مجمله ، وتزيل مشكله ، وتقيد مطلقه ، وتخصص عامه .. إلى غير ذلك . قال عز شأنه محددا منزلة السنة : **« وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون » (١٣) ،** وقال جل وعلا : **« يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا » (١٤) .**

فالرد إلى الله يعني إلى كتاب الله ، والرد إلى الرسول يعني في حياته ، وإلى سنته بعد وفاته ، فكان الرسول يبين تارة القول بالفعل ،

وتارة بهما معا ، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم قال فيما يتصل بالعبادات : (صلّوا كما رأيتموني أصلي) وقال في حجة الوداع : (لتأخذوا عني مناسككم ، فاني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه » (١٥) . وكثيرا ما كان ، عليه الصلاة والسلام ، يبين القول بالفعل ، كقوله : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) وشبك بين أصابعه .

والسنة المطهرة — كما تأتي للبيان والتفسير — كما ذكرنا — قد تأتي مستقلة بالتشريع في كثير من الأحيان ، يدل على ذلك ما رواه أبو داود — عن المقدام بن معد يكرب — أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (ألا أنني أوتيت الكتاب ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول : عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع ، ولا لقطة معاهد ، إلا أن يستغني عنها صاحبها ، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه « أي يقوموا بضيافته » ، فإن لم يقروه فعليه أن يعقبهم بمثل قراه) (١٦) .. قال الإمام الخطابي (١٧) : « انه — صلى الله عليه وسلم — » .. أوتي الكتاب وحيا يتلى ، وأوتي من البيان مثله ، أي اذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص ، ويزيد عليه ، ويشرح ما في الكتاب فيكون في وجوب العمل به ، ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن ، وقوله (يوشك رجل) يحذر بهذا القول من مخالفة السنة التي سنها مما ليس له من القرآن ذكر على ما ذهبت إليه الخوارج والروافض ، فانهم تمثلوا بظاهر القرآن وتركوا السنة التي قد تضمنت بيان الكتاب ، فتحيروا وضلوا ، وأراد بقوله (متكئ على أريكته) أنه من أصحاب الترفه والدعة الذين لزموا البيوت ، ولم يطلبوا العلم من مظانه » .

• ومن الأمثلة التي توضح مدى بيان السنة للقرآن :

• قوله تعـــالى : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** » **(١٨)** — ولم تبين الآية عدد الصلوات ولا كيفيتها ولا أوقاتها ، فجاءت السنة فبينت ذلك كلـــه .. وأيضاً لم تبين الآيـــة متى تجب الزكاة ، وأنصبتهـــا ، ومقدار المخرج منها ، وفيم تجب ؟ .. فجاءت السنة فبينت ذلك .

وفيما يتصل بالحدود

• قوله تعـــالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » **(١٩)** .. ولم تبين الآية ما هي السرقة ؟ وما شروطها ؟ وما النصاب الذي يحد فيه السارق ، وما المراد بالأيدي ؟ ومن أي موضع يكون القطع ، فجاءت السنة فبينت كل ذلك .

• قوله تعـــالى : « **انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون** » **(٢٠)** . ولم تبين الآية .. ما هي الخمر ؟ ومم تصنع ؟ وهل يحرم القليل والكثير ؟ وما مقدار الحد ، فجاءت السنة النبوية الشريفة فبينت ذلك كله .

• قوله تعـــالى : « **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله . وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين** » **(٢١)** ولم تبين الآية ما هو الزنا ؟ ومتى يوجب الحد ؟ وبم يثبت ، وهذا الحكم بالجلد بالنسبة للزانيين لغير المحصنين ، أي المتزوجين ، أم أنــه يعم المحصنين وغير المحصنين ، فجاءت السنة فبينت كل ذلك .

• وقد كان الصحابة والتابعون بعدهم يعلمون هذه الحقيقة غاية المعرفة . فقد روى ابن المبارك عن عمران بن حصين أنه قال لرجل سأله عن مثل هذا : (انك رجل أحمق ، أتجهر الظهر ، في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا .. ثم قال : أتجده في كتاب الله مفسرا ؟ ان كتاب الله أبهم هذا وأن السنة تفسر هذا .

من هنا نعرف أن مصدر الشريعة الإسلامية (الهي) يستمد وجوده وقوته من القرآن الكريم ، ومن السنة المطهرة التي هي وحي والهام من الله سبحانه ، لذلك فالشريعة الإسلامية هي الصالحة لكل زمان ومكان ، ولا يبق بعد هذا إلا وجوب العمل بها .

ان نصوص القرآن والسنة المطهرة — عملا وقولا — لتوجب على جميع المسلمين العمل بشريعة الله ، والاحتكام إليها في كل شيء في العبادات ، والمعاملات ، والحدود ، والجنايات ، والاقتصاديات وغيرها .. فان الرضا بحكم الله ورسوله شرط الايمان الكامل ، وأن الاحتكام إلى القرآن والسنة من شروط الايمان .. يقول الحق سبحانه وتعالى :

« **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** » **(٢٢)** .

فقد نصت الآية على أنهم لا يتحقق منهم الايمان حتى يحكموا رسول الله فيما شجر بينهم من خلاف ، وما يحدث لهم من القضايا ، وأن لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضى به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وأن ينقادوا لحكم رسول الله ، ويسلموا إليه بما قضى ظاهرا وباطنا . وظاهر الآية : نفي الإيمان عمن لم يحتكم إلى رسول الله في حياته ، وإلى شريعته بعد وفاته ، أو لم يرض بحكم رسول الله ، ولم ينفذ إليه ظاهرا وباطنا . قال الألوسي في تفسيره (٢٣) :

(ولعل حكم هذه الآية باق إلى يوم القيامة ، وليس مخصوصا بالذين كانوا في عصر النبي ، صلى الله عليه وسلم ، فان قضاء شريعته عليه الصلاة والسلام قضاؤه ، فقد روى عن الصادق — رضي الله عنه — أنه قال : « لو أن قوما عبدوا الله تعالى ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصاموا رمضان ، وحجوا البيت ، ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ألا صنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا في أنفسهم حرجا لكانوا مشركين ، ثم تلا هذه الآية » .

هل الحدود جوابر أم زواجر؟

اختلفت العلماء في أن الحدود — إذا أقيمت على مرتكبي أسبابها — أتعتبر جوابر ، أي مكفرات للذي اقترفه الجاني بسبب جريمته ؟ أم تعتبر زواجر ، فهي لا تكفر الذنوب ، وإنما تزجر الناس عن معاودة ارتكاب الجريمة ؟ فذهب جمهور العلماء إلى أن الحدود جوابر ، أي كفارات لأهلها . واستدلوا بما يأتي :

• مـــا رواه الشيخـــان في صحيحهما بسندهما — واللفظ للبخاري — أن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه ، وكان شهد بدرا وهو أحد النقباء ليلة العقبة — أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال وحوله جماعة من أصحابه : (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفي منكم فأجره على الله ، وإن شاء عاقبه .. فبايعنـــاه على ذلك) (٢٤) .

وفي رواية أخرى : (.. فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارته ، ومن أصاب من ذلك

شيئا فستر الله عليه ، ان شاء غفر له ، وإن شاء عذبه) .

* مـــا رواه الترمذي في سننه ، والحاكم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (من أصاب ذنبا فعوقب به في الدنيا ، فالله أكرم من أن يثني العقوبة على عبده في الآخرة) .

* مـــا رواه أحمد من حديث خزيمة ابن ثابت ، باسناد حسن : (من أصاب ذنبا أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارة له) .

قال الإمام النووي في حديث عبادة ابن الصامت — عموم هذا الحديث مخصوص بقوله تعالى : **« ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » (٢٥)** . فالمرتد إذا قتل على ارتداده لا يكون القتل له كفارة ، وإنما هو فيما عدا ذلك .

قال الإمام الشافعي : « لم أسمع في هذا الباب أن الحد يكون كفارة لأهله شيئا أحسن من هذا الحديث — يريد حديث عبادة أحسن من هذا الحديث . قال ابن الصامت : قال : (.. وأحب لمن أصاب ذنبا فستره الله ، عليه أن يستّر على نفسه ، ويتوب فيما بينه وبين ربه) (٢٦) .

قال الحافظ في الفتح : (ويستفاد من الحديث أن اقامة الحد كفارة للذنب ، ولو لم يتب المحدود) — وهو قول الجمهور . قيل : (لابد من التوبة) وبذلك جزم بعض التابعين ، وهو قول للمعتزلة ووافقهم فيه ابن حزم والبغوي وطائفة . وقال ابن حجر — في شرحه قول النبي ، صلى الله عليه وسلم « وما أصاب من ذلك شيئاً ، ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عاقبه ، وإن شاء عفا عنه » يشمل من تاب من ذلك ومن لم يتب ، وقال بذلك طائفة . وذهب الجمهور إلى أن من تاب لا يبقى عليه مؤاخذة ، ومع ذلك فلا يأمن من مكر الله ، لأنه لا اطلاع له هل قبلت توبته أم لا ؟ وقيل : يفرق بين ما يجب فيه الحد وما لا يجب .

واختلف فيمن أتى ما يوجب الحدّ ..

— فقيل : يجوز أن يتوب سرا ويكفيه ذلك
— وقيل : بل الأفضل أن يأتي الإمام ويعترف به ، ويسأله أن يقيم عليه الحد .
— وفصل بعض العلماء بين أن يكون معلنة بالفجور ، فيستحب أن يعلن بتوبته ، وإلا فلا .

أقول : الخير كل الخير ما قاله الشيخان أبو بكر وعمر — رضي الله عنهما — وما قاله أيضاً الإمام الشافعي ، وهو أن يستّر على نفسه ، ويتوب إلى الله توبة نصوحا .

* وذهب بعض العلماء إلى أن الحدود زواجر عن المعاودة للمعاصي ، وعن مقارفتها والوقوع فيها ، وليست مكفرات وإنما المكفر : التوبة . والصحيح هو الرأي الأول .

* وذهب البعض إلى التوقف في الحكم ، وذلك لحديث أبي هريرة — رضي الله عنه — أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قال : (لا أدري الحدود كفارة لأهلها أم لا) (٢٧) — لكن حديث عبادة بن الصامت أصح اسنادا .

* ويرى القاضي عياض : أنه يمكن عن طريق الجمع بينهما ، أن يكون حديث أبي هريرة ورد أولا ، قبل أن يعلمه الله ، ثم أعلمه بعد ذلك . قال الحافظ ابن حجر : ان ما قاله القاضي عياض هو الحق . كما بسط ذلك وحققه (٢٨) .

* ومن المهم أن نعلم — أن كون الحدود كفارات إنما هو فيما يتعلق بحق الله تعالى دون حقوق بني آدم ، فانها لا تسقط إلا برد ها إلى أربابها — كما في السرقة ، أو بالتحلل منها — كما في جريمة الزنا ، لأن لآل المزني بها حقوقا في ذلك ، لما يلزم من دخول العار على أبيها وزوجها وغيرهما .

وفي صحيح البخاري — قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء ، فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه) (٢٩) . وقد أخرج الإمام مسلم — في صحيحه — معناه من وجه آخر ، وهو أوضح سياقا من هذا (عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتدرون المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال : ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة . ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته . فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار) (٣٠) .

وقد أجمع العلماء على صحة التحلل من العين المعلوم مادام صاحب الحق قد تنازل عنه ، أما صحة الابراء والتحلل من المجهول ، ففيه خلاف بين العلماء ، منهم من صححه ، ومنهم من لم يصححه ، واطلاق الحديث يدل لمن ذهب إلى صحته . وفي صحيح البخاري ما يدل على تصحيحه له ، وفيه اشارة إلى صحة الابراء من المجمل أيضاً . وذلك لأن بعض المعاصي يتعذر التحلل منها صراحة (كالزنا) مثلا أو (القتل) ، لأنه ربما يأتي بضرر أكثر (٣١) .

وعلى من تحلل من المظالم المجهولة أو المجملة — أو لم يتحلل منها ، أن يتوب إلى الله توبة نصوحا ، وأن يكثر من الأعمال الصالحات حتى إذا حصلت المقاصة في الآخرة ، كان عنده ما يدخله الجنة ، ويقيه من العذاب ، فربما بصدق توبته وصالح أعماله يرضى الله تعالى عنه المظلوم يوم القيامة فيصفح عنه ، ويتنازل عن حقوقه .

* هذا وقد اعترض بعض من لم يدقق ويتعمق البحث — أن أحاديث المقاصة معارضة لقوله تعالى : **« ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٣٢)** واستشكل بذلك .

قال الفقهاء : وهذا الاعتراض والاستشكال ينم عن جهالة بينة ، لأنه انما عوقب بفعله ووزره وظلمه ، فتوجهت عليه حقوقه لغرمائه ، فدفعت إليهم من حسناته ، فلما فرغت وبقيت بقية ، قوبلت على حسب ما اقتضته حكمة الله تعالى في خلقه ، وعدله في عباده ، فأخذ قدرها من سيئات خصومه ، فوضع عليه فعوقب به في النار . فحقيقة العقوبة إنما هي بسبب ظلمه ولم يعاقب بغير جناية وظلم منه ، والله أعلم (٣٣) . وان تشريع الله ورسوله كله عدل ورحمة وحكمة . ولا يظلم ربك أحدا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

* بقي أن نقول .. ان الأمة الإسلامية بلغت أوج عظمتها التشريعية يوم أن كانت دول الغرب لاتزال تحبو ، وتحكم بقوانين الغاب ، وتسودها البربرية والهمجية . ولقد وسعت الشريعة الإسلامية — الدولة الإسلامية — يوم أن كانت مترامية الأطراف ، تمتد من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسي . وكان في هذه الدولة : العربي والفارسي والرومي والآسيوي والافريقي والأوروبي — في الأندلس (فردوس الإسلام المفقود) ، والمسلم واليهودي والنصراني ، وسعتهم جميعا عدلا ورحمة وأخاء

وبرا ونعم العالم المعروف آنئذ بشريعة الله ، شريعة الحق والعدل والسلام ، وكان غير المسلمين يتمتعون بحرياتهم الدينية وحقوقهم المدنية سواء بسواء . وقد روي عن علي رضي الله عنه – قال في أهل الذمة : (إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا) يعني في الحرمة ، ومثل حرمة الدماء والأموال ، حرمة الأعراض .

• وقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – في وصيته للخليفة بعده : (.. وأوصيه بأهل الذمة خيرا ، أن يوفى لهم بعدهم ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، وأن يقاتل من ورائهم) أي يتولى حمايتهم .

• لقد أضحت الدول الإسلامية والعربية كلها مستقلة استقلالا سياسيا ، وذهب إلى غير رجعة ذلك العهد الأسود الذي كانت فيه هذه الدول مغلوبة على أمرها ، ومصائرها بيد أعدائها ، ولم يكن لها حول ولا طول . وقد آن الأوان ، بل ووجب على هذه الدول ان تعمل جادة على استقلالها التشريعي ، وأن تحكم بشريعة الله التي هي خير الشرائع وأعدلها وأخلدها ، كما فعلت المملكة العربية السعودية ، فنعمت بالأمن والاستقرار .

• ومن الحق أن نقول .. ان تبعية بعض دول الإسلام للقوانين المدنية والجنائية ، لدول وشعوب دينها غير ديننا ، وبيئتها غير بيئتنا ، وأعرافها وتقاليدها غير أعرافنا وتقاليدنا ، كان ولايزال شوكة في ظهورنا ، ووصمة في جبيننا ، نحن المسلمين والعرب ، أمام أعدائنا ، وثغرة نفذو منها إلى النيل منا ، ورمينا بالعقم والجمود وعدم الانتاج ، وأننا عالة عليهم ، وعلى قوانينهم ونظمهم ومعارفهم .

ويكفينا فخرا – أننا أمة عريقة في الحضارة ، ولها ثروة فقهية عظيمة ، وتشريعات لها ارتباط وثيق بديننا وأخلاقنا وتقاليدنا ، وجونا وأرضنا ، فلسنا في حاجة قط إلى أن نكون عالة على قوانين غيرنا ، ولاسيما أن الحق والعدل والشرف والكرامة ، كل أولئك يفرض علينا أن تكون لنا شخصيتنا التشريعية الاستقلالية .

ولقد وفق الله بعض علماء الشريعة المسلمين ، الذين جمعوا بين فقه الشريعة الإسلامية ، ودراسة القوانين الوضعية الأجنبية ، إلى تعريف أوربا – في العصر الحديث – كنوز الشريعة الإسلامية ، وما فيها من ثروة فقهية ، وعدالة انسانية ، فوضعوا مؤلفات قيمة أبانوا فيها عن سمو التشريعات الإسلامية ، وسبقها للقوانين الوضعية في كثير من موضوعاتهــا من بضعة قرون .

• وقد بدأ هذا العمل المجيد الدكتور محمد فتحي – حيث نشر في أوربا بعضا مما حوته الشريعة الإسلامية من ثروة فقهية ، فوضع مؤلفه بالفرنسية (التعسف في الحقوق في الفقه الإسلامي) سنة ١٩١٣ ، أبان فيه في وضوح ودقة أنه بينما تبدأ في العصر الحديث أعرق الأمم مدنية في أوربا – في الأخذ بتلك النظرية ، إذ كان قد فرغ منها علماء الشريعة من قرون عدة ، وتوسعوا في تطبيقها حتى هيمنت على جميع فروع القانون العام والخاص . وقد وجه هذا المؤلف علماء القانون في أوربا إلى التعرف على الشريعة الإسلامية ودراستها .

• وفي سنة ١٩٢٣ وضع الدكتور محمد صادق فهمي مؤلفه : ((ثبات في القانون المدني المقارن))أبان فيه عن مقدار تفوق الفقه الإسلامي بدقته الفنية ، على كل ما هو معروف اليوم من الأمم المتمدنة في أوربا وأمريكا .

وخلاصة القول .. ان تشريعات الله سبحانه وتعالى هي أعدل التشريعات وأوفاها بحاجات الناس ، وتوفير السعادتين الدنيوية والأخروية ، وأنه لا يصلح البشرية إلا تطبيقها تطبيقا كليا والعمل بها ، وها هي ذي القوانين الوضعية قد ظهر فشلها في اصلاح أحوال المجتمعات – ولاسيما الإسلامية منها ، فشريعة الإسلام هي التي ستؤمن الناس على دمائهم وأعراضهم وأموالهم ، ولاسيما وأنها قد أظهرت صلاحيتها واصلاحها أربعة عشر قرنا ، قبل أن يدخل على المسلمين هذا البلاء والشر المستطير .

كما أن التشريعات الإسلامية – في باب الحدود – ليست قاسية ، ولا عارية من الرحمة ، كما زعم الزاعمون ، وانما مبنية على أساس قويم من العلم والخبرة بالنفوس البشرية .

أضف إلى ذلك – أن هذه الشريعة هي التي كونت خير أمة أخرجت للناس في عقيدتها ، وفي عباداتها ومعاملاتها وأخلاقها ، وكونت أفضل مجتمع عرفته البشرية في تاريخها الطويل ، مجتمع قائم على العدل والرحمة والأخاء والمحبة والتكافل الاجتماعي ، والتعاون على البر والتقوى والخير .

وهذه الشريعة نفسها هي التي تمخض عنها أعظم حضارة ظهرت على الأرض ، وهي حضارة الإسلام القائمة على الايمان والعلم ، والتي جاءت كافية لمطالب الروح ومطالب الجسد ، فلا هي روحانية صرفة معزولة عن الحياة ومتطلباتها ، لا يهمها إلا تعذيب الجسد واغفال مطالبه كبعض الملل والنحل ، ولا هي مادية بحتة تغفل مطالب الروح ، وتجعل من الانسان مخلوقا حيوانيا ، وآلة صماء لا روح فيها ، وبذلك كانت حضارة وسطا ، وخير الأمور أوساطها ، وصدق الله العظيم إذ يقول : **« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون »** □

---

(١) البقرة ، ١٨٧ .
(٢) البقرة ، ٢٢٩ .
(٣) النساء ، ١٤ .
(٤) مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر ج ١ ، ص/٥٩٢ .
(٥) أنظر فتح الباري ج ١٢ ، ص/٤٤٧ .
(٦) الاسراء ، ٩ .
(٧) الاسراء ، ٨٢ .
(٨) المائدة ، ١٥ / ١٦ .
(٩) المائدة ، ٤٤ .
(١٠) المائدة ، ٤٥ .
(١١) المائدة ، ٤٧ .
(١٢) تفسير الطبري للآية .
(١٣) النحل ، ٤٤ .
(١٤) النساء ، ٥٩ .
(١٥) رواه مسلم والنسائي .
(١٦) رواه الترمذي وابن ماجه .
(١٧) كتاب عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ج ٤ ص/٣٢٨ .
(١٨) البقرة ، ٤٢ .
(١٩) المائدة ، ٣٨ .
(٢٠) المائدة ، ٩٠ .
(٢١) النور ، ٨٢ .
(٢٢) النساء ، ٦٥ .
(٢٣) ج ٥ ، ص/٧١ .
(٢٤) صحيح البخاري – كتاب الحدود – باب الحدود كفارة .
(٢٥) النساء ، ١١٦ .
(٢٦) سنن الترمذي ، باب ما جاء في الحدود كفارة لأهلها .
(٢٧) رواه الحاكم في المستدرك والبراز .
(٢٨) أنظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١ ، عند حديث عبادة السابق كتاب الايمان .
(٢٩) كتاب المظالم .
(٣٠) باب تحريم المظالم .
(٣١) أنظر باب إذا أذن له أو أحله .
(٣٢) فاطر ، ١٨ .
(٣٣) أنظر شرح النووي على صحيح مسلم ١٦ / ١٣٦ .

الجوانب المثالية في حضارة الاسلام

بقلم: د. عبدالفتاح محمد سلامة / الجامعة الاسلامية

للإسلام شريعة الله التي وافت البشرية، بعد تقطع الأواصر، واحتدام الفتن، واشتعال الأهواء ... فكان طوق النجاة، وكلمة الفصل في حياة عابثة تموج بالمنكر، وتعج بالفساد .. ولقد كان دور الإسلام أولا: في بناء النفوس وصقلها، وطرد الزيف من داخلها، حتى يعود إليها جلاؤها وصفاؤها، فتبدو كما برأها الخالق العظيم، وعاء طيبا، وتربة خصبة، تنفح الحياة بالخير، وتمدها بالرشد ... وتلك هي الصياغة الأولى للنفس البشرية، أعني الفطرة المعتدلة السوية، التي تحدث عنها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقال:

« كل مولود يولد على الفطرة .. »

ولكي يبلغ الإسلام بالانسان هذا الدور المنيف، ويحلق به إلى تلك الآفاق: خلع عليه خلعة التكريم، فمنحه — دون المخلوقات جميعا — حق الخلافة عن الله في الأرض .. يحكمها بمنهجه، ويضبط حركتها بنور وحيه، وينظم علاقاتها مستضيئا بهدى السماء ..

« وإذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها، ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال اني أعلم ما لا تعلمون .. » البقرة / ٣٠ .

ومنذ أن كان للانسان هذا الدور الكبير، على سطح هذا الكوكب الأرضي، بدأ التلاحم المثير بينه وبين عناصر الكون المسخرة له، في موكب زاحف جليل، لصنع الحياة وفق منهج الله، وتربيتها بالسلوك الراشد، واثراء جوانبها بالتقدم المرموق ..

الطريق الحق للمنهج الحضاري

والانسان في مسيرته الحضارية مع الزمن، كان له رواد، يأخذ عنهم، ويواكب هديهم، حتى لا تميد به الأرض، ولا تعمى عليه الطريق، فيخبط في أموره خبط العشواء، ويسير في حياته على غير السواء ... وأعني بهؤلاء الرواد: أنبياء الله ورسله الأكرمين، الذين كانوا يمثلون في دعواتهم أرفع المقاييس الحضارية، التي تعلو بالانسانية إلى حيث الدرجة التي وضعها الله فيها، والتي تحدث عنها رب العزة فقال:

« ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .. الاسراء / ٧٠ .

ولقد كان خط الأنبياء والمرسلين جميعا: دعوة الناس إلى عبادة الله، والتوجه إليه — وحده — بالتقديس والإجلال، وتحطيم العبودية لغيره، أيا كان، وتلك ناحية فذة لها ما لها، في تحريك طاقة الانسان، واثارة الحوافز الكامنة فيه، لأنها ستجعله يندفع في طريق البناء، والله — جل جلاله — غايته، فيكون الوازع له — في شوط حياته — مبعثا من داخله، من صلته بربه، من احساسه بأن سلطة عليا تراقبه من فوق، وأن هذه السلطة القاهرة لا يند عنها شيء، مهما

دق أو عظم ..

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » ق / ١٦.

وعندما ينبعث هذا الروح المشع المرتبط بالملأ الأعلى ، في نفس الانسان ، وتؤازره قوة الأخلاق والعلم ، والقوة المادية .. البصيرة الفاعلة .. فان البشرية سوف تسعد بحضارة وارفة الظلال ، يرقى فيها الفكر ، ويعز فيها الناس ، وتزكو فيها العواطف والأحاسيس ذلك ! لأنهــا حضارة موصولــة الأسباب بوحي السماء ..

ومن ثم !! فاننا نجزم بأن هناك طريقا واحدا ، للحضارة البشرية الراقية ، يدفع التقدم الانساني ، ويحرسه من الهوى والانزلاق ، ويرسم له الصورة المثالية في دنيا الواقع ، لا في عالم الخرافات والأساطير .. ونحن نعني بهذا الطريق : طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمرسلين ، لأنه نظام رباني متكامل ، جاءت أحكامه من خارج النطاق الأرضي ، وانبثقت قوانينه من خارج المحيط البشري ، لاسعاد العالم كله ، دنيا وأخرى ، وحسب هذا النظام شموخا : أنه من عند الله ، الذي يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن ، وأحاط علمه بكل شيء ، ووضع كل شيء في موضعه ، الذي لا يليق به سواه : **« صنع الله الذي أتقن كل شيء .. » .. النمل / ٨٨ .**

مقياس الحضارة الأصيل :

أن أعز مقياس فاخرت به حضارة الإسلام غيرها ، أن كانت « لا إله إلا الله » ، وأن « محمد رسول الله .. » .. قاعدة عريضة ، ومنطلقا لاحبا ، استوعب منهج الحياة ، بكل ما يحويه من شعائر تعبدية ، وشرائع قانونية ، وتصورات اعتقادية ، وقيم أخلاقية ، وعلاقات انسانية ...

ولعل هذا سر التحول الخطير ، الذي غزا كيان المسلم ، في مجتمع لم يكن الحكم فيه إلا لله ، فبعد أن تحرر المسلم من ربقة العبودية لغير الله ، أصبح مالكا لزمام نفسه ، فلا سلطان لأحد عليه ، وبذلك رحل من المخلوقات إلى الخالق ، ومن الأكوان إلى المكون ، دون أن تقف هذه أو تلك في طريقه إلى الله ... شعاره الذي يختلج به صدره ، ويعمر به فؤاده .

« وأن إلى ربك المنتهى .. » النجم / ٤٢ .

وهذا المقياس التربوي الحضاري ، الذي يتمثل في الخضوع المطلق لله تعالى ، والانابة إليه وحده ... سيعتق الانسان من كل السلبيات ، ويخلصه من بواعث الانهزام ، ويطرح من طريقه كل معوقات التقدم والبناء ... لأنه سيتحرر من الخوف على الرزق ، لأن الرزق بيد الله ، وسيتحرر من الخوف على المركز والمكانة ، لأن مالك الملك هو الله ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، وسيتحرر من الخوف حتى على الحياة ، لأنه ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ، وسيتحرر من التبعية البغيضة ، والعادات الموروثة ، ليكون التلقي كله عن الله ، وسيرفض الهوان في الأرض ، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء ..

ولعل تلكم المعاني ، بعض من اشارات نلمحها من قول الحق جل وعلا :

« ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .. » النحل / ٧٥ .

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .. » الزمر / ٢٩.

فشتان بين رجل مكبّل بقيود الأهواء ، أسير النزعات بكثافتها وقتامتها ، وآخر يتحرك من منطلق الاحساس بالعزة ، والشعور بالحرية .. والانعتاق من كل عبودية إلا الله وحده ..

وهذه الناحية التي تتصل بالعقيدة ، لا يغني عنها غيرها ، في تقييم المنهج الحضاري ، وتسديد خطاه على الدرب القاصد السليم ، فلا نخوة الوطنية ، ولا رابطة القومية ، ولا الأعراف والقوانين ، ولا المصالح المادية ، كل هذه الشعارات لا تنهض بديلا ، عن عقيدة في الله ثابتة ، ترعى مسيرة الانسانية ، وتقود زحفها إلى ما أعد لها من سعادة في الدنيا والآخرة ..

ضرورة الابداع المادي

والابداع المادي بكل ضروبه وأشكاله ، لابد منه ، لنهضة دينية سوية ، وارتقاء عمراني ، يتفاعل مع الحياة ، ويوجّه نواميسها الزاخرة ، ويربطها بمنهج الله في الكون .. تأثيرا وعطاء ..

والإسلام — شريعة الحياة المتطورة — لا يمقت المادة ، ولا يزدريها ، بل أنه يمجّدها ، ويعلي من قدرها ، لأنها نعمة من نعم الله .. قال تعالى :

« وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس .. » الحديد / ٢٥ .

ولقد سمى الله المال خيرا .. قال تعالى :

« ان الانسان لربه لكنود ، وانه على ذلك لشهيد ، وانه لحب الخير لشديد .. » العاديات ٦ — ٨ ..

لكن الإسلام وهو يقدر المادة ، ويعترف بحركتها الفاعلة ، وأنها نواة كبرى ، لتحقيق الرفاهية والرخاء ، في جنبات الأرض .. لا يريدها أن تكون مصدر تعاسة وشقاء ، أو وسيلة للتسلط والتجبر ، أو ذريعة للبغي والإذلال .. وإلا أصبحت مطية للشياطين ، يعيثون بها في الأرض فسادا .. والقرآن الكريم يحكي لنا عن حضارات مادية ، أفلست من القيم ، وسرت فيها روح الغطرسة والتعالي ، فكان الهلاك مآلها ، والعذاب الصارم نهايتها . قال تعالى :

« أتبنون بكل ريع آية تعبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ، فاتقوا الله وأطيعون ، واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ، أمدكم بأنعام وبنين ، وجنات وعيون ، اني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم » .. الشعراء / ١٢٨ — ١٣٥ .

ان المادة هنا مخربة مدمرة ، ولهذا فان الإسلام يدين أصحابها بها ، لأنهم تنكبوا بها عن الغاية الأصيلة ، وانحرفوا بها عما خلقت له ..

والإسلام وهو يزكي الابداع المادي ويباركه ، يرى فيه مرآة صادقة ، تعكس رفاهية المجتمع ، وتبرز تقدمه المتوثب ، في حياة قوية ماجدة ..

وهذا الفهم السديد لدور المادة في المجتمع ، هو الذي رسخ أيما رسوخ ، في عقول الأغنياء من المسلمين ، في العصر الأول ، حيث كان أصحاب الثروات يتسابقون في تنافس عجيب ، إذا ما دعا داعي الايثار ، فليس هناك ما يمنع الواحد منهم أن يتنازل عن ماله كله في سبيل الله ..

وهل أتاك نبأ سعد بن معاذ ؟ لقد قال لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل غزوة بدر :

« انني أقول عن الأنصار ، وأجيب عنهم .. فخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت ، وما أخذت منا ، كان أحب إلينا مما تركت .. » ..

هذه هي الحضارة المثالية التي وقفت فيها المادة تساند العقيدة ، وتدعم دورها في ارساء قيم الحق والخير والجمال ، في عالم كان يتخبط في دياجير الفوضى ، ويتهالك في تمزق وشتات ..

« صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة .. » البقرة / ١٣٨ .. □

ندوة حول :

المنتجات السعودية الصنع

اعداد : يوسف خالد أبو بشيت / هيئة التحرير



حضر حفل افتتاح الندوة عدد كبير من أصحاب المصانع والتجار والاستشاريين ومصممي المشاريع ، وبعض المدعوين من داخل البلاد وخارجها . ويظهر في مقدمة الصورة عدد من المسؤولين في أرامكو .

تتسابق معظم دول العالم الصناعي اليوم إلى إغراق أسواق الدول النامية بأصناف شتى من المنتجات الغذائية والصناعية دون أن تأخذ بالاعتبار ظروف ومناخ الدول التي ستصدر إليها هذه المنتجات . ومن هنا برزت حاجة الدول النامية إلى اتباع أسلوب علمي منظم لتتمكن خلاله من تدبر هذا الوضع والتحكم فيه ، فأقامت هيئات متخصصة في شؤون المواصفات والمقاييس وأنشأت الغرف التجارية والصناعية لتشجيع ودعم الصناعة الوطنية والأخذ بيدها إلى شاطئ الأمان حتى تستطيع أن تؤدي دورها المطلوب في دفع عجلة الصناعة والاقتصاد المحليين .

والمملكة العربية السعودية ، وهي احدى الدول الناهضة المتطلعة إلى تحقيق أفضل المستويات الاجتماعية والتعليمية والعمرانية والصناعية لمواطنيها ، تسعى جاهدة لدعم ركائز الصناعة في البلاد التي هي بمثابة العمود الفقري للاقتصاد الوطني . وقد طلبت الحكومة من جميع الهيئات والمؤسسات المتخصصة ، من ذوي الخبرة والدراية في مجال الصناعة أن تشجع وتدعم الصناعة المحلية ، وتذلل كافة العقبات التي تقف في طريق هذه الصناعة الناشئة لتصبح في مصاف الصناعات المماثلة وأن تنافس البضائع الأجنبية التي تشكل عبئا كبيرا على الاقتصاد الوطني . والغرفة التجارية الصناعية في المنطقة الشرقية ، هي احدى هذه المؤسسات التي تبذل محاولات جادة من جانبها في سبيل دعم الصناعة الوطنية في المنطقة الشرقية ، لتغدو من الصناعات المتميزة بالسمعة التجارية الطيبة ، والمحافظة على المواصفات والمقاييس العالمية المطلوبة . وتحقيقا لهذا الهدف شهد مقر الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية يوم الاثنين ٣ ربيع الثاني ١٤٠٣ هـ ، الموافق ١٧ يناير ١٩٨٣ ، ندوة صناعية نظمتها ورعتها الغرفة بالتعاون مع أرامكو .

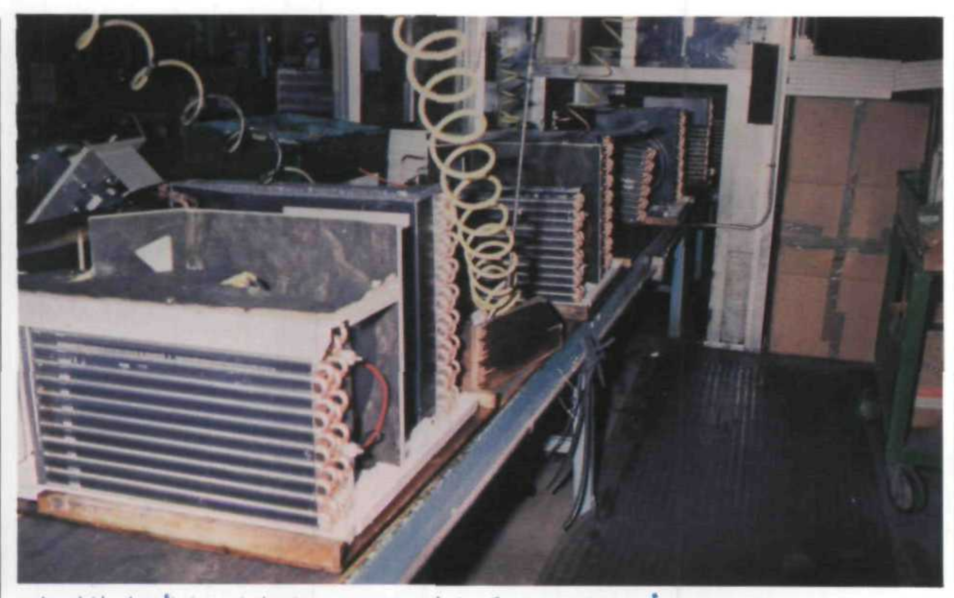
أعمال الندوة :

انعقدت الندوة لمدة ثلاثة أيام متتالية التقى فيها عدد من أصحاب المصانع والتجار والمقاولين ومهندسي التصنيع والاستشاريين لمناقشة المشكلات التي تقف في وجه الصناعة المحلية بهدف وضع الحلول الملائمة لها . وقد جاءت هذه الندوة امتدادا للندوتين السابقتين اللتين عقدتا في « لاهاي » بهولندا و « هيوستن »

بالولايات المتحدة الأمريكية . كما أنها كانت فرصة سانحة للاختصاصيين ومنفذي المشاريع في المملكة ، سواء كانوا من المقيمين في البلاد أو من المدعوين من خارجها ، للاستفادة من المنتجات المتوفرة محليا . وقد ركز معظم المتحدثين في هذه الندوة على أهمية اتاحة الفرصة للمنتجات السعودية الصنع واعطائها حقها من الرعاية والتشجيع ، وبذل الجهد من قبل المؤسسات والشركات ذات العلاقة بزيادة فعاليتها في تقديم المساعدة الفنية للمصانع المحلية وتعريف المسئولين والعاملين فيها بالأجهزة والمعدات التقنية المتوفرة حاليا في العالم . وقد ألمح سعادة الدكتور فؤاد عبد السلام الفارسي ، وكيل وزارة الصناعة والكهرباء لشئون الصناعة ، في كلمته التي ألقاها بالمناسبة ، إلى ما تقوم به أرامكو من مشاركة فعالة في نمو وتقدم الصناعة في المنطقة ، فقال : « ان الأمانة تقتضي هنا أن أنوه بالدور الطليعي الذي أدته شركة أرامكو منذ نشأتها في المنطقة الشرقية ، وتتلخص أهم ملامحه في أنها كانت سابقة في مجال نقل التقنية والتدريب العلمي والإداري ، بل ويمكن القول انها كانت أول مؤسسة في المملكة تطبق مفهوم التدريب على رأس العمل ، قبل أن تحذو حذوها الشركات الأخرى . وكذلك كان من السمات البارزة في أرامكو ، أنها أدركت منذ البداية أهمية العامل النفسي ، وهو ما جسدته في العديد من منجزاتها بهذا الصدد ، كتأمين السكن الملائم وأماكن الترفيه والتدريب وتحسين مستوى العاملين ، بل ومن الجدير بالاعجاب ما لوحظ من حرصها على استمرار هذه العلاقة الطيبة حتى مع أولئك الذين تركوا العمل بها منذ فترة طويلة » .

ومما تضمنه خطاب السيد جان ج . كلبرر ، رئيس مجلس إدارة أرامكو ، والذي ألقاه نيابة عنه السيد هـ . هـ . قورنر ، رئيس الشركة ، ان جدول أعمال هذه الندوة هو امتداد للندوات التي عقدت في « لاهاي » و « هيوستن » ، الرامية إلى تحسين جهاز تبادل المعلومات الذي أثبت فعاليته وجدواه بين أرامكو والمتعاملين معها . كما أشار إلى اعتزاز أرامكو باسهامها في هذا المجال الحيوي الرامي إلى دفع عجلة التطور وادخال الأساليب العصرية إلى قطاع الاقتصاد السعودي .

وقد أتاحت هذه الندوة لجميع المشاركين فيها فرصة الوقوف على بعض المنتجات السعودية الصنع ذات الكفاءة والجودة العالية وذلك من



استطاعت الصناعة السعودية أن تقطع شوطا كبيرا في دقة تصميمها واتباعها لأفضل المواصفات القياسية ، ويبدو في الصورة جانب من مصنع الزامل/فردريك لعمل مكيفات الهواء .

خلال الشرح الوافي للمواصفات الفنية لنوعية هذه المنتجات التي عرضت من قبل أصحاب المصانع . وقد تبع ذلك مناقشات جادة بين الحضور من المصممين والاستشاريين من أرامكو وغيرها وبين أصحاب المصانع ، وذلك للإلمام بعض المواصفات والقياسات الفنية المتوفرة في كل صناعة . ومما لاشك فيه ، ان مثل هذا الحوار يعكس مدى الاهتمام بالصناعات المحلية لتمكينها من القيام بدورها والإسهام في تنفيذ المشاريع الرئيسية في المملكة العربية السعودية . وفي أعقاب المناقشات النظرية قام المشاركون في الندوة بجولات ميدانية في بعض المصانع في المنطقة الشرقية للوقوف عن كثب على أدق التفاصيل الميكانيكية والتقنية المتاحة للصناعات الوطنية .

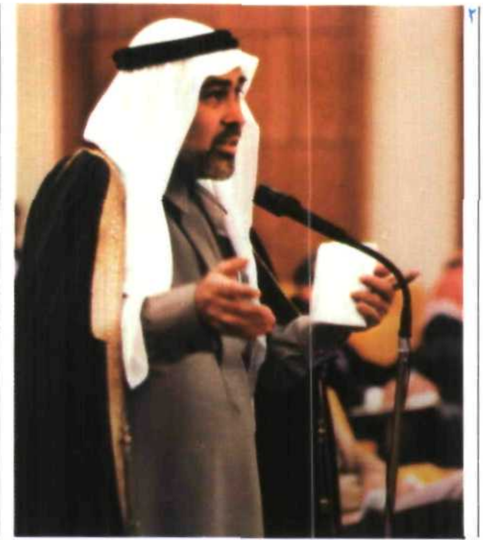
التوصيات :

لقد بنيت التوصيات على أساس اتباع أسلوب علمي أكثر تنظيما وشمولا يكفل تحقيق تعاون صناعي بين المصمم والمنتج والمستهلك ، ويرمي إلى دعم الصناعة الوطنية لتحقيق طموحاتها وتطلعاتها التي ترنو إليها . وقد تمخضت المناقشات عن عدد من التوصيات المهمة كان من بينها :

* لقد لوحظ أن المشكلة الرئيسية في استخدام المواد المصنعة محليا ترتكز على عدم توفر المواصفات الفنية .. ونتيجة لذلك فان على أصحاب المصانع تزويد المصممين بمثل هذه المعلومات الفنية . وكذلك تزويد إدارة التنمية الصناعية المحلية في أرامكو بحوالي ٢٠٠ نسخة من مطبوعاتهم الفنية .
* ان إدارة التنمية الصناعية المحلية في أرامكو ، في المقابل ، ستعمل مع مجموعات إدارة المشاريع ، لتتأكد من أن تلك المطبوعات والمعلومات الفنية ملائمة وتفي بالغرض . ومن جانب آخر ، ستقوم إدارة التنمية الصناعية المحلية بوضع نظام خاص لاعلام أصحاب المصانع بالمعلومات الاضافية المطلوبة ، إن كان ذلك ضروريا .
* لقد أكدت إدارة المشاريع ان الاستجابة لطلبات المناقصة غالبا ما تكون غير مناسبة . وانه من الضروري أن تشتمل الطلبات على جميع المواصفات وتفاصيل الأسعار والمواد الاستثنائية أو البديلة إن وجدت .



السيد هـ . هـ . قورنر ، رئيس شركة أرامكو ، يلقي بالنيابة كلمة السيد جان ج . كلبرر ، رئيس مجلس إدارة أرامكو ، ابان افتتاح الندوة .







* كان هناك نوع من التخوف بأن مواصفات أرامكو لبعض المواد يمكن أن يقيد استعمال المنتجات السعودية . غير أن أرامكو من جانبها تدأب على مراجعة هذه المواصفات باستمرار وتعمل كل ما في وسعها للحصول على المنتجات السعودية الصنع ، شريطة ألا يكون ذلك على حساب الأمور المتعلقة بالسلامة .
* ان الحاجة تدعو إلى اقامة مكتبة فنية مركزية للمنتجات السعودية الصنع في كل من الظهران وهولندا ، على غرار المكتبة المقامة في هيوستن .
* لقد لاحظ أعضاء اللجنة باقتناع ورضا أن إدارة أرامكو العليا تطلب كل ثلاثة أشهر تقارير من مجموعات إدارة المشاريع توضح استعمالات واستخدامات المنتجات المصنعة محليا . لذلك فان على أرامكو أن تواصل تشجيعها للصناعات المحلية .

١ – نظمت الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية جولة ميدانية في بعض المصانع المحلية في الدمام لجميع المشاركين في الندوة ، للاطلاع عن كثب على ما تقوم به هذه المصانع من أعمال .

٢ – الأستاذ اسماعيل ابراهيم نواب ، المدير العام للشئون العامة في أرامكو ، يدلي برأيه حول أحد الموضوعات المطروحة للمناقشة .

٣ – تميزت المنتجات السعودية الصنع بالجودة والكفاءة ، ويبدو أحد العاملين في مصنع أميانتيت لصنع الأنابيب وهو يقوم بمتابعة تغليف أنبوب كبير الحجم .

٤ – السادة أعضاء لجنة المناقشة والاشراف ، أثناء اجتماعهم لوضع توصيات الندوة .

تصوير شيخ أمين – ومايكل اسحق



دور الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية في دفع عجلة الصناعة

تعتبر الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية التي باشرت عملها في اليوم الثالث من شهر شوال عام ١٣٧٢ هـ ، الممثل الاقتصادي لأنشطة التجارة والصناعة في المنطقة ، وذلك من خلال ما قدمته لأعضائها ومنتسبيها البالغ عددهم في نهاية العام الماضي أكثر من ٦٠٠٠ منتسب ، من جهود كبيرة في تأمين الاتصالات والعلاقات التجارية مع دول العالم ، ومتابعتها عن قرب لتوفير احتياجات الصناعات المحلية وحل مشاكلها لتتمكن من المشاركة الفعلية في تحقيق طموحات خطط التنمية في المملكة العربية السعودية .



وحتى تتمكن الغرفة من أداء دورها بصورة فعالة ومرضية أنشأت لجنة صناعية هدفها إعداد أنظمة وتشريعات ذات علاقة بالقطاع الصناعي ووضعها في خدمة أصحاب المصانع في مركز المعلومات في الغرفة ، ودراسة مشاكل المجتمع الصناعي المحلي ووضع الحلول المناسبة لها ، وتقوية العلاقة وسبل الاتصال بين الغرفة وسائر الجهات ذات الصلة بالتنمية الصناعية ، واعداد برنامج للتعريف بالصناعة الوطنية .

ونظرا لأهمية الندوات الصناعية وما لها من مردود ايجابي على كافة المجالات الصناعية ، نظمت الغرفة ندوات في الدمام ولاهاي وهيوستن بالتعاون مع إدارة التنمية الصناعية المحلية في أرامكو التي تسعى إلى تشجيع الصناعة المحلية والنهوض بها على كافة الأصعدة التجارية والصناعية ، والتعريف بها خارج نطاق المملكة . كما تبنت الغرفة فكرة اقامة معارض متعددة داخل المملكة وخارجها سهلت على التجار وأصحاب المصانع طرق التعرف برغبات المستهلكين . وكان من بين تلك المعارض ، معرض خاص بمعدات الأمن والسلامة الذي أقيم في منتصف شهر مارس من عام ١٩٨٢ م ، ولقي اقبالا حسنا من ذوي الاختصاص .

وفي الحقيقة أن الغرفة التجارية الصناعية في المنطقة الشرقية قد أسهمت في رفع كفاءة المصانع المحلية والعاملين فيها . فإلى جانب اهتمامها بالمنتجات المحلية ، تقوم أيضاً بتوجيه عناية منتسبيها بأهمية تدريب العاملين في المصانع والمعامل لرفع كفاءتهم العملية . ولهذا الغرض ، تحرص الغرفة من حين إلى آخر على تنظيم دورات تدريبية تتعلق بأعمال الكمبيوتر أو التسويق أو طرق البيع والمشتريات والتخزين بالاضافة إلى دورات تتعلق بالأمن والسلامة لحماية المرافق الصناعية والعاملين فيها ، وغير ذلك من الدراسات الاقتصادية والاستشارات القانونية .

الصناعة في المنطقة الشرقية

يعود تاريخ تطور الصناعة في المنطقة الشرقية إلى عام ١٩٤٧ م تقريبا حينما أدركت أرامكو حينذاك أهمية تأسيس ورعاية الأعمال الحرة وتنمية الاقتصاد الوطني للاستفادة منها في تأمين الخدمات المساندة لأعمالها المختلفة . وعلى أثر ذلك ، قامت أرامكو بتكليف مجموعة من الاختصاصيين مهمتها تقديم المساعدات الفنية وأحيانا المالية لتسهيل قيام المشروعات الاقتصادية والصناعية ورعايتها إلى أن تصبح قادرة على الاعتماد على نفسها .

ومع مرور الأيام ، اتسع نطاق تلك المشاريع وتزايد عددها وأصبح من الضرورة اسناد مهمة رعايتها إلى إدارة أكبر وأشمل لتتمكن من مواكبة النمو الصناعي يوما بعد يوم ، فأنشأت من أجل ذلك إدارة التنمية الصناعية المحلية ، تقوم بالتعاون مع الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية في سبيل ايجاد صناعة وطنية على مستوى عال من الكفاءة .

وقد أولت حكومة المملكة العربية السعودية ، منذ عهد جلالة المغفور له الملك عبد العزيز ، قطاع الصناعة اهتماما بالغا ، فأغدقت عليه بسخاء ، ووفرت له جميع الامكانات اللازمة . وذلك من أجل توسيع القاعدة الأساسية لضمان الاكتفاء الذاتي .

وقد جاء في التقرير العام حول نشاطات الغرفة التجارية الصناعية بالمنطقة الشرقية لعام ١٤٠٢ هـ أن عدد المصانع القائمة والتي مازالت قيد الانشاء في المملكة قد بلغ ٢٥٤٣ مصنعا ، كما بلغت قيمة رؤوس الأموال المستثمرة فيها ٩٦ مليار ريال ، منها ٥١ مليار ريال مستثمرة في ١١٨٣ مصنعا منتجا فعليا يعمل فيها حوالي ٦٢ ألف عامل . أما في مجال تسهيل الحصول على أماكن لاقامة المنشآت الصناعية ، فقد أقامت حكومة المملكة العربية السعودية مدينة صناعية في الدمام على مساحة ثلاثة ملايين متر مربع تضم أكثر من مئة مصنع ، وقد تم تأجير أرضها لأصحاب المصانع بايجار رمزي . كما أقامت الحكومة أيضاً ، مدينة صناعية أخرى على طريق بقيق تبلغ مساحتها نحو عشرين مليون متر مربع وتتسع لنحو ستمائة مصنع . وفي الهفوف أقيمت مدينة صناعية مماثلة لتنمية الصناعات المحلية في منطقة الاحساء .

ومن جانب آخر ، يسهم صندوق التنمية الصناعية السعودي الذي أسس عام ١٣٩٤ هـ مساهمة فعالة وكبيرة في تقديم القروض اللازمة لدعم وتشجيع الصناعات الوطنية . وقد بلغ عدد المصانع التي حصلت على مساعدات مالية من الصندوق ٥٢٦ مصنعا ، وهي تنتج ما لا يقل عن ١٧٠ نوعا من المنتجات المختلفة ، الأمر الذي أدى إلى توفير نوعيات مختلفة من المنتجات المصنعة محليا .

وفي المجال الاقليمي ، أدركت دول الخليج العربية حاجتها الكبيرة إلى ايجاد تعاون اقتصادي صناعي فيما بينها يكفل المزيد من التقدم لدفع عملية التنمية في دولها . ومن هنا سارعت دول المملكة العربية السعودية والبحرين والامارات العربية المتحدة وعمان وقطر والكويت إلى وضع أسلوب علمي منظم يعمل على تحقيق التعاون الصناعي والتكامل الاقتصادي بين دولها من خلال إنماء القطاع الصناعي في المنطقة . وكان أن وافقت هذه الدول في السادس والعشرين من فبراير ١٩٧٦ م على قيام منظمة اقليمية تعرف باسم « منظمة الخليج للاستشارات الصناعية » يكون هدفها العام تحقيق الإنماء الاقتصادي للمنطقة من خلال التعاون والتنسيق الصناعي بين الدول الأعضاء فيها □

معركة أدبية بين الصاحب ابن عباد والمتنبي

بقلم الأستاذ : محمد المجذوب / المدينة المنورة

السخر لون من الأدب قديم ، رافق الشعر العربي منذ قام على قدميه ، ومرده إلى نوع من الاستخفاف لا يجد صاحبه سبيلا للتعبير عنه إلا بالصور المضحكة ، وهو بذلك أشد وقعا في النفس من الهجاء الصريح القائم على التحقير المباشر . فقد يقذف الشاعر أو الكاتب مهجوره بلاذع الكلام ، فينال منه أكثر مما ينال من خصمه ، إذ يسجل عليها الانسياق لسلطان من الغضب تضعف ارادته عن تصريفه ، ولكنه حين يعمد إلى السخر فانما يدلل على هدوء في أعصابه ، يمكن له من تتبع نقائص الخصم في اناة توهمك بأنه لا يريد تشفيا ولا انتقاما ، وانما يريد عرض واقع من حق الناس كلهم أن يشركوه في تعرفه .. ولهذا كان السخر فنا جميلا يحقق من المتعة للقارئ والأديب ما لا تحققه فنون التعبير الأخرى .

ومع ذلك فللسخر ضروب تتفاوت في ميزان الجمال ، تفاوت النفوس الساخرة ، وكثير من الأدباء لا يجد القدرة على احسانه ، لأن نفسه من النوع الذي لا يأتلف غير الجد ، فإذا راح يؤلف الصورة أضحك من نفسه أكثر مما يضحك من خصمه ، وإلى جانب هؤلاء آخرون فطروا على هذه الموهبة ، فهم لا يجدون نصبا ولا التواء في حوك ما يقصدون إليه ، فإذا هم يتحفونك بما يهزك طربا ، وربما لا يعجزون أن يهزوا خصومهم بمثل هذا الطرب .

وللسخر الجميل صور ماتعة في القرآن الكريم ، وفي كثير من النصوص العربية قديما وحديثا ، تأتي حينا هادئة رخية ، وتأتي حينا آخر عنيفة قوية ، وفي كلتا الحالتين تعمل عملها في تحريك المشاعر وتحقيق الغرض . ومن الذين أحسنوا هذا الفن الحطيئة والأخطل وبشار وابن الرومي والمعري ، ثم الجاحظ وولي الدين يكن . وهناك واحد من أدباء العصر العباسي لم يشتهر أمره بين الساخرين وقد ضرب فيه بسهم وافر يجعله واحدا من هؤلاء الذين يرضون هواة هذا الفن . ذلك هو الصاحب اسماعيل بن عباد من نابغي القرن الرابع .

وقد رأيت أن أقف حديثي على عرض نماذج من سخره البارع ، الذي ينم عن ثقافة أدبية عميقة ، وتصرف حاذق في فن القول .

ولد اسماعيل بن عباد عام ٣٢٦ هـ وتوفي عام ٣٨٥ هـ ونشأ في جو من العلم والأدب أحاطه به والده ، ثم اتصل بأكابر علماء عصره وأدبائه ، فأفاد ثروة وافرة من الثقافة ، إلى جانب ذخيرة من الخلق والعقل والصفات الكريمة ، مما رفعه إلى مرتبة الوزراء ، فكان يمين « ركن الدين بن بويه » ثم « فخر الدولة » أخيه طيلة ثماني عشرة سنة ، وكان شديد الاخلاص لهما ، نافذ الأمر عندهما ، ومؤيد الدولة هو الذي أطلق عليه لقب « الصاحب » .

أما ثقافته فحسبنا شاهدا على قيمتها قول عدوه « أبي حيان » في كتابه « الامتاع » الذي حشاه بالطعن على الصاحب ، يقول أبو حيان : « كان الصاحب كثير المحفوظ حاضر الجواب ، فصيح اللسان ، قد نتف من كل أدب شيئا ، ومن كل فن طرفا ، حسن القيام بالعروض والقوافي ، يقول الشعر وليس بزال وبديهته غزارة .. » ولاشك أن مثل هذه الثقافة تؤهل صاحبها للكلام في الشعر ونقد معانيه وأساليبه ، وتسعفه بما يعوز الناقد من فنون الكلام ، عندما يتناول أحد الشعراء بتعديل أو تجريح .

وبهذا السلاح من الذكاء المثقف اقتحم الصاحب بن عباد حمى المتنبي ، فراح ينقب بين ثناياه لاستقصاء سقطاته ، في ألوان من السخر الناجح ، لا يتمالك قارئه إلا أن يقابله بالاعجاب الكثير ، والضحك الوفير .

أبت عنجهية المتنبي وكبرياؤه الا أن ترفعا عن مديح الصاحب ، وهو الذي كان بابه ملاذ المئات من شعراء التكسب ، فأثار بذلك حفيظة ابن عباد ، وهاج نقمته ، فكان لا مندوحة له عن تتبع عيوبه ، ليسهم مع خصومه في الغض من قيمته ، فراح يستقصي مواطن ضعفه ، في انصاف حينا وفي جور حينا آخر ، وكان لمالىء الدنيا وشاغل الناس أنصاره المعجبون ، الذين لا يعدمون القدرة على الذياد عن حياضه ، لذلك وجب على الصاحب الواثق من نفسه ألا يكتفي بالقول يرسله في مجالسه الخاصة ، فعمد إلى القلم ، وإذا هو يخرج لنا رسالته التي يسميها « الكشف عن مساوئ شعر المتنبي » .

والرسالة هذه صغيرة لا يتجاوز ما يخص المتنبي فيها الخمس عشرة من الصفحات ، ولكنها ذخيرة من بلاغة الصاحب ومقدرته في النقد الساخر ... تقرؤها اليوم فتستعيد جو الحياة الأدبية الماتعة ، التي كانت تظل عهد كاتبها ، وتتبين من خلالها دفقات من جيد الكلام تكون نسيج وحدها في كل ما عرفه الأدب العربي من هذا الفن .

ولنأخذ الآن في استعراض طائفة من هذا السخر الطريف . يقول المتنبي في مدح سيف الدولة :

نحن من ضايق الزمان له فيك   وخانتـــــه قربك الأيـــام

فيمسك الصاحب بتلابيبه ثم يقول : « انه بيت رقيـــة العقرب أقرب إلى الافهام منه ، فان قوله (فيك) لو وقع في عبارات الجنيد والشبلي لتناءت عنه المتصوفة دهرا ... » .

ورقية العقرب هذه تذكرنا قول ابن الرومي في شعر البحتري :

رقى العقارب أو هذر البناة إذا
أضحوا على شعف الجدر في صخب

ويقلب الصاحب نظره في رثاء المتنبي لأم سيف الدولة ، وفيه من الفخامة ما يليق بجلال الملوك ، فإذا هو يقذف بالقهقهات المثيرة هنا وهناك ، ثم يسجل ملاحظاته في مثل هذه الكلمات .. يقول الصاحب : ولما أبدع المتنبي في هذه المرثية واخترع قال :

صـــلاة الله خالقنـــا حنوط   على الوجه المكفّن بالجمال

وقد زعم بعض من يغلو في المتنبي ان هنا استعارة ، فقلت صدقت . ولكنها استعارة حداد في عرس . ولا يفوتنا غرابة الحداد في عرس ، فهي من ابتداع الصاحب فيما أظن ، وقد بقيت ملكه حتى أخذها بدوي الجبل فقال :

ضحك الأمس فرنت في الدجى   ضحكة الثاكل في ليلة عرس

ويقرأ الصاحب قول أبي الطيب :

إن كان مثلك كان أو هو كائن   فبرئت حينئـــذ من الإسلام

فلا يهمه ما في البيت من سخف المعنى والمبنى ، بمقدار ما تسوءه لفظة « حينئذ » لذلك يكشف عورتها وهو ينادي : « انها ههنا انفر من عير منفلت » .

وهكذا يصنع في ذلك البيت الآخر الذي يتساءل به المتنبي عن الطلول :

أســـائلها عن المتديّريهـــا   فما تدري ولا تذري دموعا

فإذا هو يقبض على هذه « المتديريها » بكلتا يديه ويقول : « لو وقعت هذه اللفظة في بحر صاف لكدرته ، ولو ألقي ثقلها على جبل سام لهدته ...

ولكم ثار فضول الناس حول قول أبي الطيب الآخر :

أحاد في ســـداس في أحـــاد   لييلتنـــا المنوطة بالتنادي !

فلم ينتهوا إلى الكلمة الأخيرة فيه حتى اليوم ، ولكن الصاحب لا يرى فيه إلا نوعا من الهذر يجمع من الحساب ما لا يدرك بالارتماطيقي ، وبالاعداد الموضوعة للموسيقى ، ثم يجهز عليه بهذه الطعنة النجلاء إذ يقول : هذا كلام الحكل ورطانة الزط .. وما ظنك بممدوح قد تهيأ للسماع من مادحه ، فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوظة والمعاني المنبوذة .

وقد يقع الصاحب على كلمة بارعة قالها أحد النقاد في شعر المتنبي ، فيكتفي بهـــا معبرا عن رضاه ، كما صنع في هذا البيت :

فما للنوى جذ النوى ، قطع النوى
كذاك النـــوى قطـــاعة لوصال !

فيورد عنه كلمة أحد شيوخ الأدب إذ يقول : « لو سلط الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله .. » .

ثم استمع إلى قول المتنبي هذا :

إذا كان بعض النـــاس سيفا لدولـــة
ففي النـــاس بوقـــات لهـــا وطبول

وقديما شغل الشراح عن معنى هذا البيت بالجدل على « بوقات » .. بعضهم يصححها وبعضهم يخطئها ، أما الصاحب فينصرف عن كل هذا ليقول : « ان هذا التحاذق كغزل العجائز ، ودلال الشيوخ .. » ويحلق الصاحب في فن التعبير حين يقع على قول المتنبي :

جواب مسائلي : أله نظير ؟   ولا لك في سؤالك لا .. ألالا

فإذا هو يعقب عليه بهذا السهم الذي شفى به واشتفى ، يقول : « لقد سمعت بالتمتام ولم أسمع باللألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف حيث يعرف ... »

ويتابع الصاحب الساخر سقطات أبي الطيب ، أو ما يراه هو سقطات ، بهذا المبضع الذي لا يرحم فما أن يصل إلى قوله :

عظمت فلمـــا لم تكلم مهابة
تواضعت وهو العظم عظما عن العظم

حتى يصرخ : « ما أكثر عظام هذا البيت ... »

وما أروع عبارته حين يعرض لقول أبي الطيب في وصف أسير أخذ منه الخوف حتى هبط إلى مرتبة الأطفال في اللفائف :

فغـــدا أسيرا قد بللت ثيابه — بدم ، وبل ببوله الأفخاذا
فكأنه حسب الأسنة حلـــوة — أو ظنها البرني والآذاذا

وإذا علمت أن « البرني والآذاذ » من التمر أدركت جودة التعليق الذي أتحفنا به الصاحب عندما قال : « لا أدري أكان في الحرب أم في سوق التمارين في البصرة ! » .

ولا ينكر ناقد منصف أن الصاحب لم يكن عادلا في جميع نقده للمتنبي ، فشد ما جار عليه ، وكثيرا ما أبرز لآلئه في صورة الخرز .. ولكنه لم يعدم التوفيق في كثير من تجريحه . ولعل أفضل ما يقع عليه قارئ هذه الرسالة ، تلك النفحة التي بلغ بها قمة السخر الفني حين يعرض قول أبي الطيب :

لو استطعت ركبت الناس كلهم — إلى سعيد بن عبد الله بعرانا

ثم يعقب بهذه الوخزة البارعة : « ومن الناس أمه .. فهل ينشط لركوبها ؟! . والممدوح أيضاً لعل له عصبة لا يحب أن يركبوا إليه ... » .

وبعد فهذه طائفة من طرائف تلك الرسالة التي تنفس عنها صدر ذلك الأديب الناقم من كبرياء أبي الطيب . وليس الصاحب ابن عباد هو الخصم الوحيد الذي دفعه المتنبي إلى صفوف أعدائه بتعاليه وتعاظمه وعنجهيته ، ولكنه واحد من الذين يحسنون الرمي عن خبرة ... فليس بوسعه أن يحشره بين عضاريط الفسطاط وشويعري بغداد ...

ونحن إذ نستعرض غمزاته هذه لايسعنا أن نؤيده في كل ما ذهب إليه من رأي في النماذج التي تناولها من شعر أبي الطيب ، ففي كثير من مآخذه تحامل بيّن لا يمكن الزعم بأن الناقد على جهل منه ، ولذلك اكتفينا من تلك الغمزات بما هو أقرب إلى الانصاف ، وقليل من التروي في تقويم هذه الأبيات المجروحة يؤكد صدق ما أطلقه الصاحب عليها من أحكام ...

ومن الحق أن نقول : ان الصاحب لم يستسلم لهواه بازاء أبي الطيب إلى الحد الذي يخرجه عن كل تقدير له ، فإلى جانب هذه الطعنات القليلة انصاف غير قليل عالج به مجموعة من أمثال المتنبي في كتاب خاص لم يبخس فيه الشاعر الحكيم حقه ، وهو نفسه لا يهجم على المتنبي في رسالته الساخرة هذه هجوم المنكر لعبقريته ، وإنما دفعه إلى تأليفها حديث دار بينه وبين بعض المتعصبين لأبي الطيب ، فقد سأله هذا عن رأيه في شعره فأجاب بما يلي : « انه بعيد المرمى كثير الاصابة ، إلا أنه ربما يأتي بالفقرة الغراء مشفوعة بالكلمة العوراء ، فلم يرق ذلك للسائل بل تحداه أن يثبت زعمه كتابة ، فاضطر إلى تأليف هذه الرسالة تسويغا لما ذهب إليه ... »

على أن من طرائف القدر أن يبتلى الصاحب بمثل ما ابتلي به المتنبي من خصومته ... فلقد رماه الدهر بباقعة من فطاحل كتاب العربية ، لا يعجزه أن يجعل من الحق باطلا ومن الباطل حقا ... ذلك هو أبو حيان صاحب كتاب « الامتاع والمؤانسة » الذي خص الصاحب بصفحات من النقمة المبدعة ، توشك أن تجعل منه ضحكة الأبد □

في ذمـــة اللـه

بالأمس القريب ، ودعت الأوساط الأدبية والصحفية في المملكة العربية السعودية رائدا من روادها وقطبا من أقطابها ممن أسهموا في اثراء الحركة الثقافية في المملكة وواكبوا تطورها ونماءها على امتداد نصف قرن .. انه الأستاذ الأديب المؤرخ عبد القدوس الأنصاري الذي ظل لأكثر من خمسين سنة يرفد الحركة الفكرية والأدبية وينفحها بما حباه الله من طاقات ومعطيات عبر مسيرته الطويلة في الحياة الثقافية والعملية ، وليس أدل على ذلك من تجربة « المنهل » الأدبية التي عايشها في كبد وعناء منذ أن أرسى قواعد تأسيسها ، فرمقها بجهده وفكره ووعيه غير ضنين .. فشاء الله لها أن تسير وتسير حاملة في تضاعيفها ثمار جهود صاحبها مؤكدة عزمها على المضي قدما جنبا إلى جنب مع زميلاتها الأخريات في سبيل خدمة الكلمة الهادفة والحرف النير .. فللأمانة التاريخية عاش ومن أجلها قضى ..

أجل .. لقد صمت الأنصاري صمت مستغرق متأمل وقضى العمر يدق الباب غير وان ولا يائس ناهجا نهجا تاريخيا اتسم بالأمانة والاخلاص .

والقافلة ، إذ تنعى قلما من أقلامها المتضافرة التي ظلت تستقطبها على مدى نصف قرن ، تبتهل إلى الله ، عز وجل ، أن يتغمد الأستاذ الراحل بواسع رحمته ، وأن يلهم آله وذويه الصبر والسلوان ، وأن يثيبه بقدر ما أسداه للضاد من خدمات جلال .. إنا لله وإنا إليه راجعون □

القمر المهاجر

شعر : أحمد محمّد المعتوق / نيويورك

طيفها صور في الافاق نجمي
ولها ذوبتُ في القيثـار لحني
أترى ينثر سـحرا
بعدها الدربُ وتهفـو
نجمة الأسحار خلف الخطو تعدو
وحقـول من يواقيتٍ
ومسك البحر أهدته لنا يوماً حواريهِ
كذا يهجرها البـدر ويرحلْ !
كم بنينا من عروش وقبـاب
وعيون البـدر تنظر
والشواطى السمر وشّاها لنا البحرُ
نجيماتٍ وفيروزاً وعطرا
تهمس الموجـة جذلى
ويميل الزورق المفتون يروي الكأسَ
والمـلاح يروي
وشوشات المخمل الأخضر اذكار
تناجي الأفق نشوى
آه كيف الصحو يطوي الغيمة السوداءَ
كيف الرمـل يلهو
كصبي ناعم الخطو
كطفل في ضفاف النجم يحبو
وبواحات من النوْر حيارى الطير تزهو
أترى تعلمُ دربي
أخصبتْ بالسحر ندياناً خطاهُ
وتوشت بالرياحين رباه
ونهار العمـر يصفو
كيف لا تعلمُ ، من فيروز عينيها سمائي
وحروفي
ونشيدي ساعة الصبح المطلّ

وطريقي هي رشته كروماً
وأزاهيرا وظـلاً
هي أحيت في ضلوعي كوكباً غضاً أطلا
وهي أرستْ في الضفاف السمر جندولي
وتحت الشمس أرستْ لي محلا
ما عرفت العالم المسحور قبلا
لم أكن أعرف كيف الورد يتلو
سحراً للحقـل ورده
كيف تحسو الطير ضوء البدر عجلى
كيف تصطاد الحساسين دموع النجم جذلى
لم أكن أعرف قبـلا
طرقتْ بـابيَ ليـلا
قلتُ آه ، ها هو الصبح فأهلا
عادني الخصب وولتْ ريح كانون وولّى
طيف ليل أنبتَ اليأس بعينيَّ
ولي شتت شـملا
ورعتني ، كيف يحنو القمر الفنانُ
يرعى الشطّ هيماناً ويسهرْ
ويذيب الضوء في الأصدافِ
والأصداف تسكرْ
لا تَسلْ كيف عبرتُ الأفق طائر
وغدوت – الريح في أمري – مسافر
ليلتي فتـانة البوح
ويومي حالم طفل الغدائر
لم يكن يهتف بي صوتٌ مغامر
كنتُ روحاً غضةً في كف ساحرْ
تفرشُ الشمس بأرضي وتهاجر
وبقلبي تزرعُ الأنجمَ غراً وتهاجر
كيف أنسى الموسم الخصب وأعياد البيادرْ

المعهد العربي لإنماء المدن

(نشأته، طبيعته، أهدافه، نشاطاته)

د. محمد عبدالله الحماد / الرياض

بلغت المدن العربية شأوا كبيرا في الرقي والحضارة وعلى الأخص في عصور الإسلام الزاهرة، وبرزت «مكة المكرمة» التي ضمت أول بيت وضع للناس وشرفت بالكعبة الكريمة التي أصبحت قبلة للمسلمين في كل مكان، وظهرت «المدينة المنورة» كأول عاصمة للدولة الإسلامية، واشتهرت مدن كدمشق وبغداد والفسطاط والقيروان وذاع صيتها.

وقد تميزت هذه المدن بطابعها العربي والإسلامي وخاصة في فنون العمارة كما كانت منارات للعلوم والآداب والفلك والطب والطبيعيات، ومراكز نشطة في مجال السياسة والتجارة والصناعات الراقية.

إلا أن هذه المدن ما لبثت أن تأثرت بما أصاب الحضارة العربية والإسلامية من اضمحلال فتوارى معظمها تاركا مكانه لمدن أخرى في الغرب ساعدت النهضة الصناعية والتطور الحضاري هناك على ازدهارها.

ودارت عجلة الزمن وتطلعت، الشعوب والحكومات العربية بعد أن تخلصت من ربقة الاستعمار ونفضت غبار قرون من الظلام والتخلف.. تطلعت إلى اللحاق بركب الحضارة واستعادة ماضيها الزاهر.

وتسابق الجميع إلى تحقيق هذه التطلعات وأثمرت الجهود في نجاح نفر من الرواد المسئولين عن المدن العربية في انشاء منظمة المدن العربية عام ١٩٦٧ م لتأخذ على عاتقها مهمة النهوض من جديد بالمدينة العربية وتهيئة أسباب الرقي والمدنية أمامها من خلال تعزيز الامكانيات الفنية للقطاعات المسئولة عن إدارة هذه المدن والمتمثلة في أجهزة البلدية لكي تظل قادرة على مواصلة تطوير المدن التي تديرها بما يتفق ومتطلبات العصر مع العمل في الوقت نفسه على الابقاء على الهوية العربية لهذه المدن والحفاظ على تراثها الإسلامي.

وقد استطاعت المنظمة تحقيق انجازات كثيرة منذ انشائها مما ولد الثقة لدى المدن العربية في أهمية وفعالية الدور الذي تقوم به، وقد انعكس ذلك في توالي انضمام المدن العربية الى عضوية المنظمة فارتفع عددها من ٢٧ مدينة لدى تأسيسها إلى نحو ٢٦٠ مدينة حاليا.

وقد بدت حاجة المنظمة مع تعدد أوجه النشاط لديها واتساع نطاق خدماتها — إلى ضرورة ايجاد أجهزة متخصصة تساعدها في بعض المجالات الهامة .. فقامت المنظمة بانشاء «صندوق تنمية المدن العربية» الذي استطاع تقديم عدد من القروض إلى المدن الأعضاء لمساعدتها على تنفيذ بعض المشروعات الحيوية فيها.

كذلك رأت المنظمة انها بحاجة إلى انشاء جهاز يتولى الجوانب العلمية والفنية التي تسهم في خدمة المدن العربية فبدأت في القيام بعدة دراسات متأنية أثمرت في النهاية في انشاء «المعهد العربي لإنماء المدن».

بدأت فكرة المعهد في سنة ١٩٧١ م وفي المؤتمر الثالث لمنظمة المدن العربية والذي أصدر قراره بانشاء مركز للابحاث والدراسات لتحقيق أهداف عدة في خدمة المدن العربية ومنظمتها. وتبلورت الفكرة إلى الرغبة في اقامة معهد متخصص، لتحتضنه مدينة الرياض، وقد تحملت المملكة نفقات انشائه وتشغيله لمدة الثلاث سنوات الأولى.

والمعهد مؤسسة علمية ثقافية استشارية تهتم بالمدينة في كافة مجالاتها واختصاصاتها وأغراضها، وبالمدن العربية والشئون البلدية بصفة خاصة. وهو الجهاز المتخصص لمنظمة المدن العربية في مجالات التدريب والبحوث والاستشارات والتوثيق وكل ما من شأنه دعم وتحقيق أهداف المنظمة. وله شخصيته المعنوية وذمته المالية المستقلة. ومع ارتباطه العضوي بالمنظمة فله ارتباطه المكاني بحكومة المملكة العربية السعودية بحكم مقره والتي لم تأل جهدا ولم تدخر وسعا في سبيل قيامه ودعمه ورعايته.

الأغراض التي يعمل المعهد لتحقيقها

يعمل المعهد في إطار منظمة المدن العربية على تقديم العون لبلديات المدن الأعضاء لكي تستطيع مسايرة التطور الحضاري بتقديم خدمات تتفق وطموحات سكان المدن العربية مع الابقاء على هويتها العربية وصيانة تراثها الإسلامي.

كما يسعى المعهد لإجراء البحوث والدراسات عن المدينة العربية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والفنية والمعمارية وتقديم الاستشارات لها في مجالات عملها وانشاء مركز لجمع المعلومات والبيانات والاحصاءات والوثائق عنها ومعالجتها بالطرق العلمية الحديثة واعدادها لخدمة المدن العربية وفي متناولها.

كيف يحقق المعهد هذه الأغراض؟

يسعى المعهد بوسائله العلمية والفنية المتخصصة لمساعدة المدن والبلديات العربية، وقد حرص على التعرف إلى احتياجات هذه المدن عن طريق استبيانات وافية كونت لديه صورة جيدة بدأ التخطيط لنشاطه على أساسها، ويتفرع هذا النشاط في أربع اتجاهات رئيسية هي:

* عقد الندوات واللقاءات والمؤتمرات واعداد وتقديم البرامج العلمية المتخصصة وتنظيم الدورات التدريبية وحلقات البحث العلمي وتقييمها وتطويرها لما يفيد المدن العربية والعاملين في أجهزتها.
* اجراء البحوث والدراسات في مجالات الانماء الحضري والاسكان والخدمات البلدية وفي كل ما من شأنه رفع مستوى المدينة العربية وتقدمها الحضاري.
* تقديم الاستشارات والمعونة الفنية للمدن الأعضاء وتحسس مشاكلها والعمل على تذليلها.
* جمع المعلومات وتوثيقها ونشرها وتطوير مركز المعلومات ودعمه بكل جديد ومستحدث والعناية بالمكتبة والسعي لاستكمال محتوياتها.

كما يعمل المعهد على التعريف بالمدينة العربية من خلال وسائل الاعلام الوطنية والاقليمية والعالمية، ويشارك من أجل الإعداد لإصدار مجلة المدينة العربية ومعرض الصور الدائم والمتنقل للتعريف بها بالاضافة إلى انتاج فيلم وثائقي يتناول تاريخها وحاضرها ومستقبلها .

كيف يباشر المعهد مهامه ؟

يشرف على المعهد ويرسم سياساته مجلس الأمنـاء ، ويتولى إدارة المعهد مدير عام يساعده جهاز فني واداري . ويتشكل مجلس أمناء المعهد من أعضاء دائمين من بينهم من دولة المقر وزير الشئون البلدية والقروية في المملكة العربية السعودية رئيسا وأمين مدينة الرياض نائبا للرئيس ومدير عام المعهد عضوا وأمينا للمجلس .

ويختار المكتب الدائم للمنظمة لعضوية هذا المجلس تسعة أعضاء آخرين يمثلون المدن كل سنتين بالاضافة إلى ممثلين عن الامانة العامة للمنظمة . وقد تشكل المجلس لفترته الأولى على النحو التالي :

* وزير الشئون البلدية والقروية بالمملكة العربية السعودية — رئيسا
* أمين مدينة الرياض . — نائبا للرئيس
* أمين عام منظمة المدن العربية — عضـوا
* مدير عام منظمة المدن العربية — عضـوا
* أمين مدينة جـدة — عضـوا
* أمين مدينة بغداد — عضـوا
* أمين مدينة دمشق — عضـوا
* أمين مدينة عمّان — عضـوا
* رئيس بلدية طرابلس (أمين اللجنة الشعبية لمرافق بلدية طرابلس) — عضـوا
* شيخ مدينة تونس — عضـوا
* رئيس المجلس البلدي بالرباط — عضـوا
* مدير عام المعهد العربي لإنماء المدن — عضـوا

ويرأس مجلس الأمناء صاحب السمو الملكي الأمير متعب بن عبد العزيز وزير الشئون البلديـة والقرويـة للمملكة العربيـة السعودية، ويشغل عبد الله العلي النعيم ، أمين مدينة الرياض منصب ، نائب الرئيس . والدكتور محمد عبد الله الحماد مدير عام التخطيط والبرامج بوزارة الشئون البلدية والقروية مديرا عاما للمعهد .

لمحات عن نشاط المعهد

بالرغم من قصر المدة التي انقضت على انشاء المعهد فقد استطاع تحقيق عدد من الانجازات الأساسية الهامة معتمدا في ذلك على الأساليب العلمية الصحيحة وذلك على النحو التالي :

* من أجل الوقوف على الامكانات المتاحة للتعاون مع الجامعات والمعاهد والمراكز العلمية والمنظمات المتخصصة في شئون المدن سواء منها العربية أو الأجنبية أو الدولية لبحث سبل الاستفادة من خبراتها المتعددة ..

قام المعهد باجراء اتصالات مع مائتين وخمسين من الجهات المشار إليها وأثمر ذلك في عقد اتفاقيات للتعاون والمشاركة في عدة مجالات تتصل بخدمة المدينة العربية .

* كذلك تعاون المعهد مع منظمة المدن العربية في تنفيذ عدد من الندوات ، وكان أول ما أسهم فيه هو تنظيم ندوة « المدينة العربية : خصائصها وتراثها الحضاري » التي أقيمت بالمدينة المنورة في ربيع ثاني ١٤٠١ هـ وحققت نجاحا كبيرا .

كذلك شارك المعهد في تنظيم ندوة التخطيط الحضري في البلاد العربية التي أقيمت ببرلين في أغسطس ١٩٨١ م .

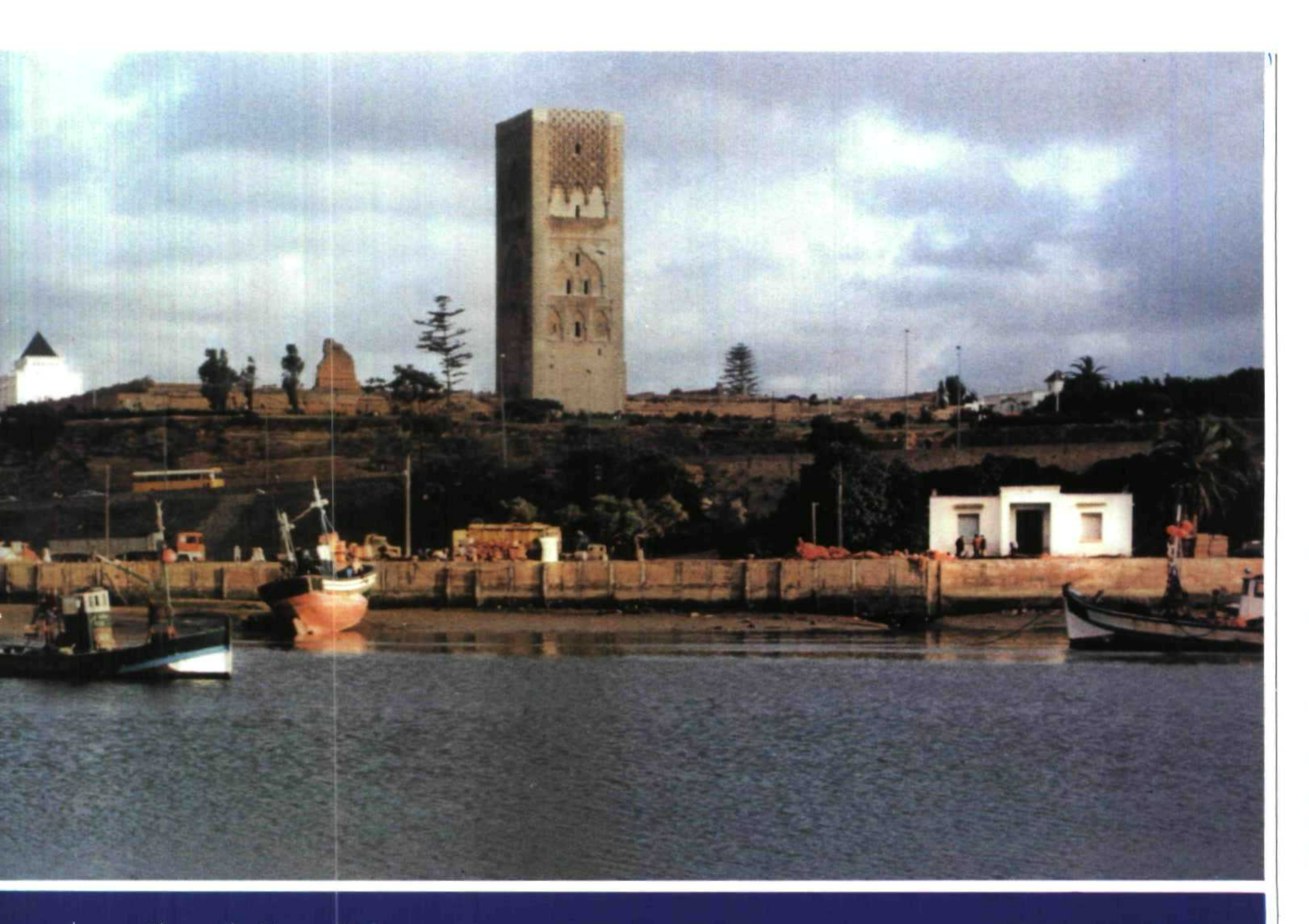
* وفي مجال اجراء البحوث والدراسات حول المسائل التي تعني المدن العربية وتشكل جانبا مما يواجهها من مشكلات، بدأ المعهد في اجراء بحوث حول عدة موضوعات ، كما تلقى بحوثا ودراسات من بعض الجهات العلمية العربية والأوربية .
* ولمتابعة كل ما يتصل بشئون المدن ، حرص المعهد على المشاركة في الندوات والمؤتمرات التي تقام في هذا المجال ، وقد شارك في الندوة التي تم تنظيمها بالكويت عن دور البلديات في حماية البيئة وكذلك في ندوة عن دمشق القديمة في سوريا ، وفي تلك الندوة التي دعت الهيئة العربية السعودية للمواصفات والمقاييس المعهد لحضورها وكانت بعنوان « سبل حماية المباني من الحرائق وعقدت بمدينة الرياض في ربيع ثاني ١٤٠٢ هـ .

كما شارك المعهد في الندوة التي نظمتها جامعة الملك فيصل بالاحساء عن النخيل وفي المؤتمر العام لمنظمة العواصم الإسلامية باسلام أباد في ابريل ١٩٨٢ م .

* كذلك لبى المعهد الدعوة لحضور مؤتمر « البيئة للجميع » في استانبول في سبتمبر ١٩٨٢ م وندوة عن الطاقات المتجددة بكراكاس في أكتوبر ١٩٨٢ م ، كما عهدت المنظمة إلى المعهد بالجانب العلمي للمؤتمر العام السابع لمنظمة المدن العربية بالجزائر في أكتوبر ١٩٨٢ م .
* وفي مجال تحقيق تبادل مفيد للمعلومات بين المدن العربية وتزويد الباحثين في موضوعات تتصل بنشاط المعهد بما يحتاجون إليه من بيانات واحصاءات ومراجع ، عمل المعهد على انشاء مركز للمعلومات والوثائق ملحق به مكتبة علمية متخصصة . ومن أجل تزويد المكتبة بما صدر في شئون المدن والبلديات من مؤلفات وبحوث ودراسات أجرى المعهد اتصالات عديدة مع كبريات المكتبات في الوطن العربي والعالم الغربي ، وكذلك تبادل المعهد الرسائل مع دور النشر العالمية حيث يتم الحصول تباعا على أحدث ما يصدر عنها من قوائم للمطبوعات الحديثة خاصة في مجالات : التخطيط المحلي والتحضر ومشاكله ، وعلم الاجتماع والأجناس ، والجغرافيا البشرية ، وحماية البيئة ، وتجميل المدن ، والحفاظ على التراث .
* وفي مجال الاستشارات يقدم المعهد المشورة الفنية في مختلف مجالات احتياجات المدن والبلديات العربية بالتعاون مع الجامعات والمعاهد والمؤسسات وبيوت الخبرة العالمية .

وفي هذا الخصوص يعتز المعهد بما طلبته كل من بلدية الكويت وامانة مدينة جدة لتنظيم أجهزتها ورفع مستوى أداء منسوبيها .

وبعد .. فان ما أنجزه المعهد خلال هذه الفترة القصيرة يعتبر بمثابة قاعدة علمية سليمة ينطلق منها لتحقيق برامجه المستقبلية . ولاشك في أن تشجيع وتوجيه منظمة المدن العربية للمعهد ودعم المملكة المتصل له يقفان وراء ما يحرزه المعهد من تقدم في خدمة المدينة العربية .. □



جولة في:

رباط الفتح ماضيه وحاضره

ابراهيم أحمد الشنطي / هيئة التحرير

أثناء زيارتنا لمدينة الرباط ، عاصمة المملكة المغربية ، في شعبان ١٤٠٢هـ، يونيه ١٩٨٢م ، لاجراء عدد من اللقاءات حول تعريب الدراسة في الكليات العلمية العربية ، اتيحت لنا فرصة التجوال في بعض أرجاء تلك المدينة الإسلامية ، ذات التاريخ الأصيل . وفي هذه العجالة ، نورد لمحات عن ماضيها وآثارها الغابرة ، ولقطات لواقعها ومعالمها الحاضرة .

لابد لزائر « رباط الفتح » القادم من الخارج ، من أن يمر بالدار البيضاء التي تعتبر البوابة الدولية الجوية للمغرب العربي . ومن الدار البيضاء إلى الرباط مسافة يقطعها المسافر إما بالطائرة ، في دقائق ، أو بالسيارة في ساعة وبعض الساعة ، مارا بالمزارع والحقول والبساتين ، وبالباعة الصغار على جانبي الطريق يبيعون مختلف الأطعمة من سمك طازج ودجاج وبيض وفواكه وخضار .

وإذا كانت الرباط هي العاصمة السياسية للمغرب ، فالدار البيضاء هي الحاضرة التجارية له ، يأتيها رجال الأعمال والسواح من مختلف الأقطار ، وخاصة العربية والأوروبية . فهي علاوة على كونها مركز تجارة وصناعة ومطارا دوليا وميناء بحريا ، مصيف جميل فيه من وسائل الراحة والترويح الشيء الكثير . فجوها اللطيف وموقعها على ساحل البحر ، ومرافقها السياحية ، ومتاجرها المتنوعة البضائع ، خاصة المغربية ، يجعلها محط أنظار السواح . إذ هي تجمع

الحضارتين الشرقية والغربية ، ويتقن أهلها اللغتين العربية والفرنسية ، فيجد السائح المعاملة سهلة يسيرة ، فلا يضيق صدره بجهل اللغة ، كما هو الحال في بعض البلدان التي لا يتقن أهلها غير لغتهم . وهي ، أيضاً ، بالمقارنة مع بعض البلدان الغربية ، أرخص أسعارا وأوفر هدوءا وأقرب إلى النفس العربية السمحة .

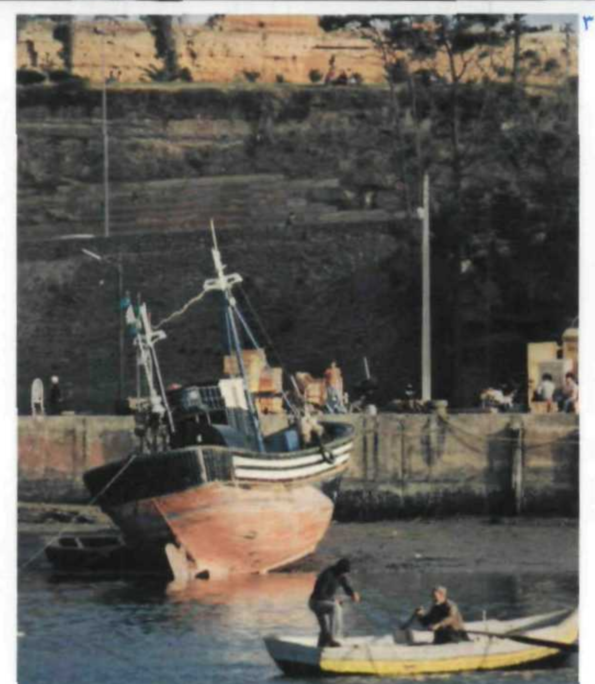
رباط الفتح

يعود تاريخ « رباط الفتح » إلى أيام الموحدين الذين جعلوا من ذلك الموقع مكانا لتجمع المجاهدين القادمين من الجنوب وهم في طريقهم إلى الأندلس .

وعندما دالت دولة المسلمين في الأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م . بدأت الضغوط تجتاحهم من كل جانب لاجبارهم على النزوح عن الأندلس بشتى الطرق ، واستمر الوضع كذلك نحو قرن من الزمان . وفي عام ١٦٠٩م خرج المسلمون نهائيا من الأندلس

٢

٣



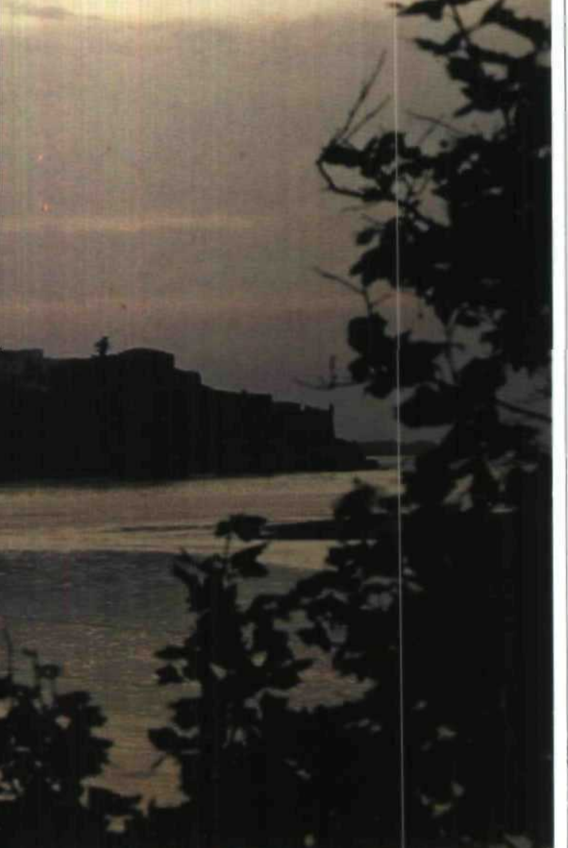
١ – منارة حسان ومسجد الملك محمد الخامس كما يبدوان من ناحية نهر أبي رقراق ٢ – تتميز الدار البيضاء ، علاوة على كونها البوابة الجوية للمغرب ، بالعمارات الضخمة والفنادق الراقية والشوارع الواسعة ، وهي إلى ذلك تجتذب السواح من الشرق ومن الغرب . ٣ – أخذت هذه الصورة من ناحية نهر أبي رقراق لبعض الآثار على مقربة من منارة حسان .

واتجهوا إلى المغرب في قوافل وجماعات ، فنزلت جموع كثيرة منهم في مدينة الرباط ، على الضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق الذي يفصلها عن مدينة سلا . ثم أخذوا يقيمون منازلهم على شاطئ المحيط الأطلسي بالقرب من مصب النهر ، الآنف الذكر ، بغية الاستقرار في هذا الوطن الجديد .

ويذكر المؤرخون ان انشاء رباط الفتح وتخطيطه كمدينة قد بدأ خلال القرن الثاني عشر الميلادي بأمر من الخليفة يوسف عبد المؤمن الموحدي ، وولده يعقوب المنصور الموحدي من بعده . وقد واجه يعقوب المنصور الكثير من المشاكل بعد مقتل والده ، في مدينة شنترين بالبرتغال ، ومبايعته بالإمارة من بعده في أشبيلية عام ٥٨٠ هجرية . إذ قامت اضطرابات في مملكته في شمالي افريقيا أولا ، ثم في الأندلس ، وقد حارب خصومه في كليهما وانتصر عليهم .

ومن المعارك الخطيرة التي خاضها يعقوب ضد القشتالين معركة الأرك ، على مقربة من مدينة رباح بالأندلس ، التي وقعت يوم التاسع من شعبان عام ٥٩١ هـ (يوليه ١١٩٤ م) . وقد هزم فيها القشتاليين شر هزيمة ، وأسر منهم





١ و ٢ – منظر لحديقة جامعة الدول العربية في الدار البيضاء وهي ذات نوافير جميلة ترتفع وتنخفض حسب الموسيقى والأناشيد والأغاني التي ترافقها .

٣ – تقوم قصبة الوداية على هضبة صخرية مرتفعة تطل على شاطئ المحيط الأطلسي من ناحية وعلى نهر أبي رقراق من ناحية أخرى .

٤ – نهر أبي رقراق الذي يفصل بين الرباط وسلا ، التي تبدو خلف الصورة . وهنا يلتقي النهر بالمحيط الأطلسي .

عدة آلاف ، وفر قائدهم الفونس الثامن مع جماعة قليلة من رجاله ، وقد طاردت قوات الموحدين الفونس ورجاله حتى طليطلة .

ومن المنشآت العمرانية التي أقامها يعقوب المنصور منارة مسجد اشبيلية «الخيرالدا» بالاندلس ، وجامع حسان ومنارته — شقيقة « الخيرالدا » في الرباط ، وغير ذلك كثير في الأندلس والمغرب . وقد توفي المنصور في ربيع الأول ٥٩٥ هـ ، يناير ١١٩٩ م .

وإذا كان انشاء الرباط يعود إلى يعقوب المنصور ووالده ، فهذا لا يعني أن الموقع كان مهجورا ، إذ يذكر المؤرخون أن المكان كان مأهولا ، لكن والد المنصور أسس فيه قصبة وأقام مسجدا وعدة قصور وأجرى إليها الماء ، وبالتالي استقر الناس وأقاموا منازلهم حولها .

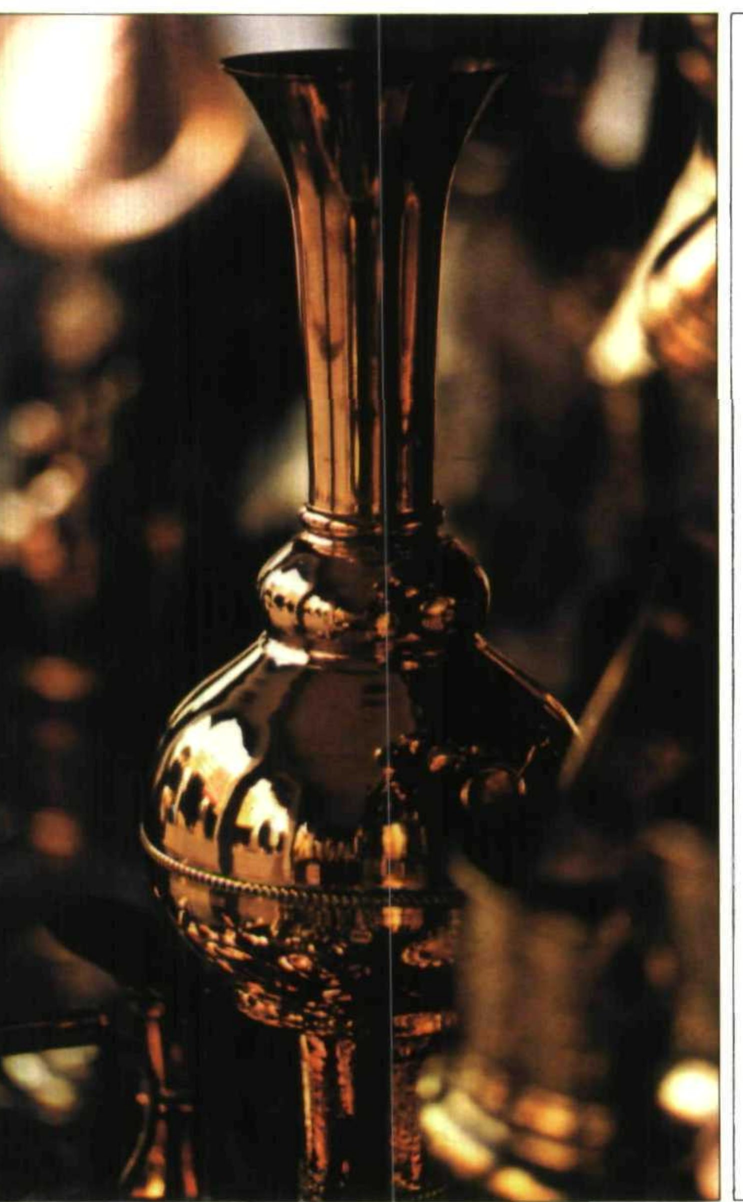
وقبل أن يخطط المنصور لاقامة الرباط كان العمران يقتصر على ضاحيتي شالة وسلا ، وهذه الأخيرة مدينة كبيرة يفصلها عن الرباط نهر أبي الرقراق ، وقد أنفق يعقوب المنصور الكثير من الأموال على بناء الرباط ، وبعد وفاته انتقل إليها الكثيرون من الناس ، وخاصة من أهل شالة .

وعندما استولى المرينيون على الرباط بعد حروب طاحنة استمرت أربع سنوات (١٢٤٩ — ١٢٥٣ م) أصيبت الرباط بركود كبير استمر نحو ثلاثة قرون ، إلى أن بدأت قوافل المسلمين تغادر الأندلس إلى البر الأفريقي ، وتستقر في مدينة الرباط ، وكان ذلك في عام ١٠١٨ هـ ، ١٦٠٩ م .

وهناك من المؤرخين من يقول بعكس ذلك ، أي أن الرباط كانت ، قبل قدوم المسلمين الأندلسيين ، مدينة آهلة بالسكان عامرة بالبنيان ، رزقها كثير وخيرها وفير . ودليلهم في هذا مرسوم أصدره الخليفة عبد الواحد الرشيد الموحدي وأمر فيه بتيسير الأمر على المهاجرين المسلمين من الأندلس إلى الرباط ، فقد جاء في ذلك المرسوم أنه قد أذن لهم « ... في النقلة إلى رباط الفتح عمره الله تعالى ، بقضيضهم وقضهم ، وأن يتخذوا مساكنه وأرضه بدلا من مساكنهم وأرضهم ، ويعمروا منه بلدا يقبل منهم أولى من قبل ، ويحملهم إن شاء الله تعالى ، وخير البلاد ما حمل ، فانه مناخ التاجر والفلاح ، وملتقى الحادي الملاح ، والمرافق من بر أو بحر ، موجودة في فصول السنة ، مؤذنة لقاطنه بالمعيشة الهنية ، والحال الحسنية ، ولهم أفضل ما عهده رعايا هذا الأمر العزيز ، أدامه الله تعالى ، من التوسعة على قويهم ، كي يزداد قوة ، والرفق بضعيفهم حتى ينال يسارا وثروة ، وأن يتوسعوا في الحرث ، ففي أرضه هنالك متسع ، ويتبسطوا في كل ما لهم منه مكافئ وبه منتفع ، ويغرسوا الكروم وأنواع .. على عادتهم ببلادهم ، ويتأثلوا الأملاك لأنفسهم وأولادهم ، وأولاد أولادهم ، وكل ما يعمرون من الضياع ، ويقتنون من الأصول والركاع ، فله حكم .. على الاطلاق والدوام ، لا يلزمون فيه شيئا من وجوه الالزام ، ولا يطلبون بغير حقوق الشرع ، التي جعلها الله تعالى في أموال أهل الإسلام ، وأقوالهم في مقاديرها مصدقة ، وأمانيهم كلها لهم ، واللاحقين بهم محققة ، والولاة والعمال حفظهم الله تعالى ، مأمورون بأن يحفظوهم من كل أذى يلم بجانب من جوانبهم ، ويعوق عن مأرب صغير أو كبير من مآربهم ، وأن يكرموا غاية الاكرام ، نبهاءهم وأعيانهم ، ويولونهم من حسن الجوار ، ما ينسيهم أوطانهم ، حتى تدفع عنهم كل شبهة من شبه الحيف ، ويجمع لهم بين الرعاية حرمة البلوى ، والعناية بحق الضيف ، احتسابا منه على الله تعالى أمره ... » (١) .

ومن تاريخ المرسوم الآنف الذكر ، وهو شعبان ٦٣٧ هـ . يظهر لنا أنه صدر بعد سقوط بلنسيه بأيدي النصارى بقيادة خايمي ملك أراجون (صفر ٦٣٦ هـ — اكتوبر ١٢٣٨) (٢) بنحو ١٨ شهرا . وانه من المعقول أن تكون مدينة الرباط عامرة . فاستيلاء المرينيين عليها تم بعد ذلك بنحو عشرين سنة (١٢٥٣ م) واثر حرب طاحنة استمرت أربع سنوات . وربما كانت تلك هي الهجرة الأولى ، أما الثانية فقد جاءت بعد نزوح المسلمين من الأندلس في عام ١٠١٨ هـ ١٦٠٩ م . وهذا يعني أن أكثر من ٣٥٠ سنة قد مرت بين الهجرتين ، وهو وقت كاف لتبدل أحوال ، وسقوط ممالك ودول وقيام غيرها ، ولا يستبعد أن تكون الحياة خاملة في الرباط في مطلع القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وانها بدأت تنشط عند قدوم النازحين الأندلسيين الجدد .

(١ ، ٢) «عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس» — عبد الله عنان ، ج ٢ ، ص/٧٣٨ و ص/٤٥٠ .



حي درب الحبوس حيث تكثر الصناعات المحلية من الأوا

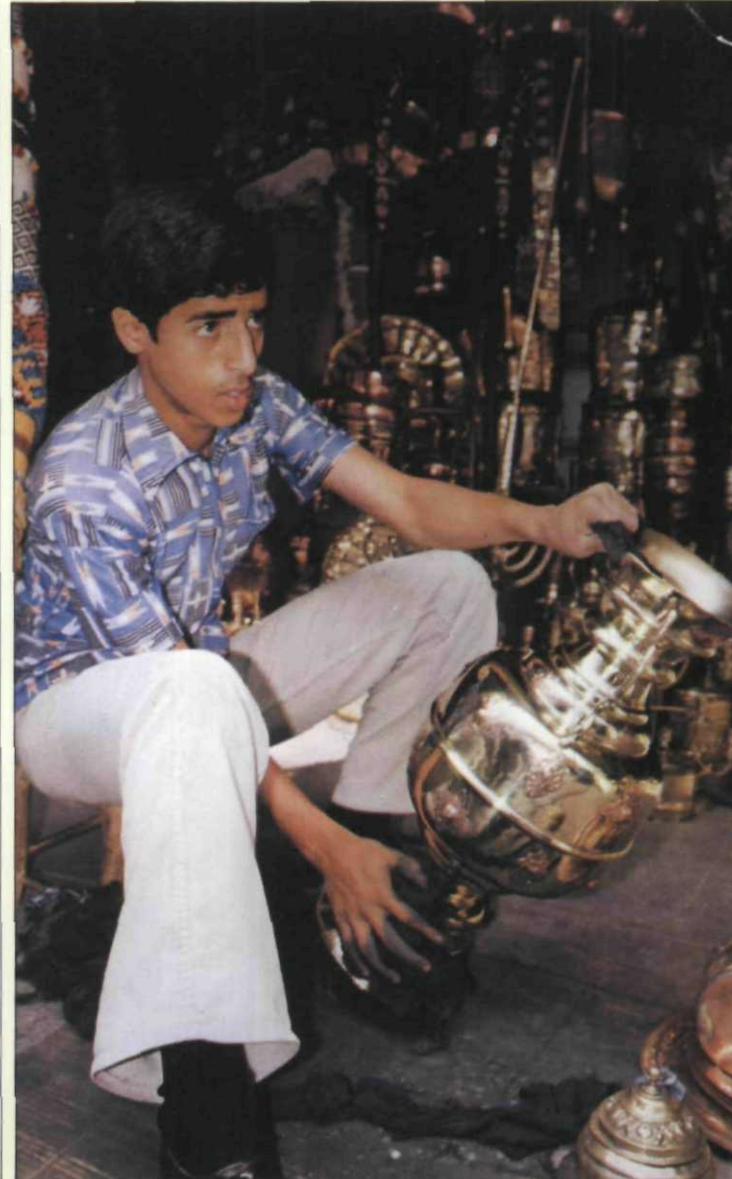


ساقي الماء ، أصبح عمله من الماضي ، ولا يستقي منه أحد إلا نادرا .

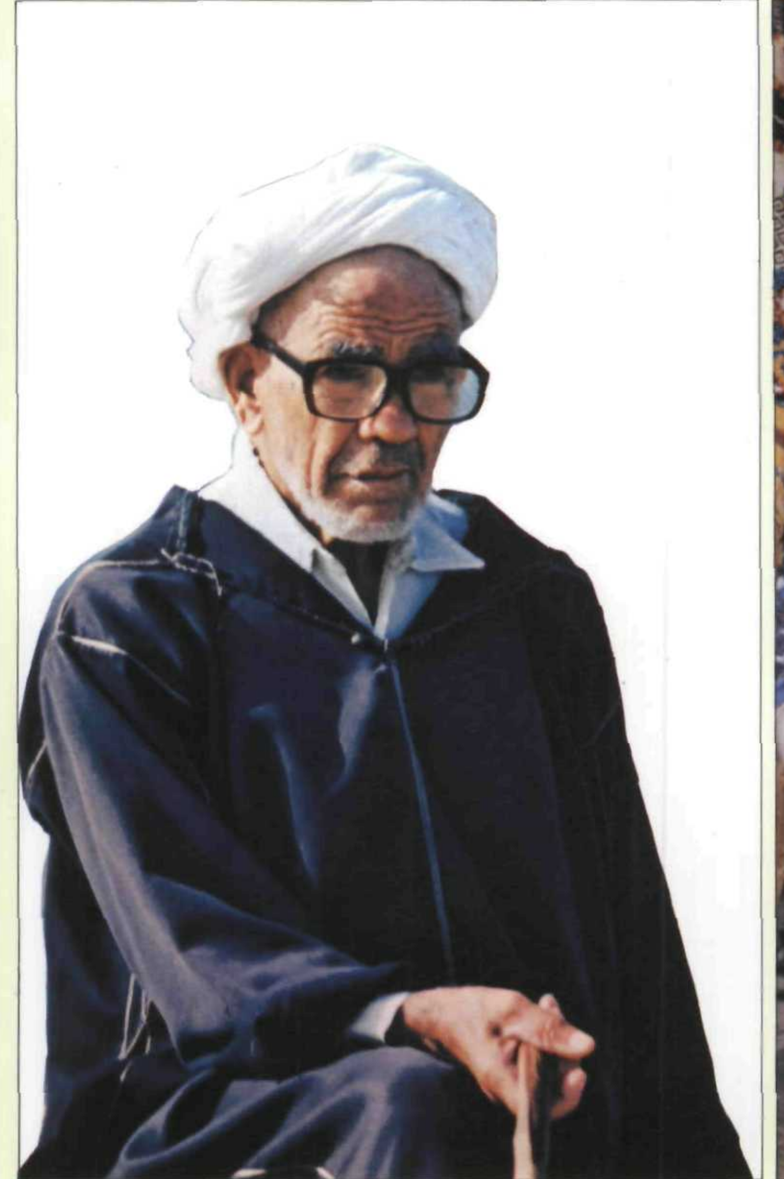
وبنزوح هذه المجموعات الأخيرة ، واتحادها مع النازحين السابقين من أهل بلنسية وشقر وشاطبة ، أصبح للأندلسيين تأثير كبير في الحياة العامة والسياسية . وبفضل تقدمهم الحضاري والثقافي والعلمي ، وتمرسهم ودرايتهم في مقارعة الأعداء وفنون الحرب والقتال ، استطاعوا الاستيلاء على السلطة وتكوين مجلس للحكم ، برآسة أحد علمائهم ، جعلوا نصف أعضائه من الرباط والنصف الآخر من سلا مشكلين بذلك دولة جديدة في حوض نهر أبي رقراق ، وكان ذلك في عام ١٠٢٣ هـ (١٦٠٣ م) . ثم انهم أنشأوا ، بما لديهم من خبرة بفنون البحر ، اسطولا قويا أخذوا يضربون به القواعد الأندلسية التي طردوا منهـا ، كما هددوا بعض الموانئ الأوروبية الأخرى فغنموا الكثير من الأمـوال والعديـد من المراكب وآلاف الأسرى (٣) .

وفي بعض الحالات كانت قصبة الأوداية – وهي احد أحياء الرباط ، تستقل عن الرباط أو تحالف سلا ضدها إلى درجة أن أصبح في مصب نهر أبي رقراق ثلاث دول ، قامت بينها حروب وفتن لفترة من الزمن إلى أن استولى السلطان المولى رشيد على الحكم وأعاد الأمن والاستقرار للمنطقة . وفي عهد السلطان محمد ابن عبدالله أنشئت مدينة جديدة ، ضاحية أكدال ، وصارت مركزا للسلطة الحاكمة مثل فاس ومكناس (٤) .

(٣ ، ٤) «تـاريخ ربـاط الفتح» ، ص/١٠٥ و ١٠٦ .



حاسية والفضية ذات النقوش والزركشات الجميلة .



وجه من الرباط .

الرباط حاليا

تبلغ مساحة الرباط حاليا ١٢٠ كيلومترا مربعا ، منها أربعة كيلومترات مربعة داخل الأسوار التي أقامها الموحدون . وتتميز البلدة القديمة بشوارعها الضيقة وأسواقها المكتظة بالناس والبضائع على مختلف أشكالها ، وخاصة الملابس والمصنوعات الجلدية والنحاسية والفضية ذات الزركشات الجميلة ، والأطعمة من حبوب وبقول وخضار وفواكه ولحوم وأسماك .

أما الضواحي الجديدة فمنسقة وجميلة وذات شوارع واسعة نظيفة . ولبيوتها حدائق ذات أشجار وأزهار ، وتربة المنطقة حمراء خصبة . وفي الضواحي الجديدة يقع مقر معظم الوزارات والدوائر الحكومية ، والمعاهد والمدارس والجامعات والملاعب الرياضية والنوادي . أما أهلها فيغلب عليهم الطابع المغربي وخاصة في البلدة القديمة ، بينما هم في البلدة الجديدة يلبسون الزي الغربي في أكثر الأحيان . أما عاداتهم فيسودها الطابع العربي الإسلامي الأصيل من كرم وحسن خلق وطيب معشر .

الأماكن الأثرية

الوداية

موقع حصن قديم بناه الرومان ثم أقام فيه المرابطون وعمروه ، وفي عهد الموحدين أصبح لقصبة الوداية شأن كبير عندما أقام فيها الأمير يوسف عبد المؤمن قصرا فخما ، وبنى كبار القوم لهم دورا ومنازل حوله . وقد أقيمت



القصبة على تل صخري يطل على المحيط الأطلسي وعلى نهر أبي رقراق . وفيها لغاية اليوم ، عدد من الأبراج العالية المقامة في سورها القديم . وقد مرت بها عهود مختلفة ، فتراوح مركزها بين مد وجزر حسب مكانة الخليفة أو السلطان الذي ينزل فيها أو يتخذها مقرا له . وكانت في أيام الموحدين مركزا لتجمع المجاهدين ، وهذا ما تحث عليه الآية الكريمة المنقوشة على الباب الشرقي للسور « **يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم . وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين** » (٥) .

وفي قصبة الوداية متحف للآثار أقيم في قصر قديم بني في القرن الحادي عشر الميلادي ، ويعرض في هذا المتحف نماذج للأزياء المغربية والبسط والسجاجيد ، وكذلك بعض أنواع الخزف والحلى والآلات الموسيقية القديمة ، والصناعات اليدوية التقليدية في المغرب ، وبعض المخطوطات التي يعود تاريخها إلى أيام الموحدين . وعلى مقربة من القصر توجد حديقة جميلة منسقة فيها الكثير من الأزهار والأشجار .

شالة

وهي تعتبر أقدم الآثار التاريخية في الرباط ، ويقال انها وجدت قبل الميلاد بمئات السنين . ويذكر المؤرخون ان عقبة بن نافع هو أول من افتتحها في الإسلام . وقد تعاورتها الأحداث والزلازل فخربت وتهدمت . وعندما

(٥) سورة الصف .



بنى الموحدون مدينة الرباط انتقل الكثيرون من أهالي شالة إليها فزاد ذلك في خمول ذكرها . ولما استولى عليهـا المرينيون جددوا بعض ابنيتها ، ثم عادت فخربت . وهي اليوم مكان أثري يقصده الزوار للعبرة والنزهة ، ففيه بقية من آثار الأقدمين ، وبقايا قبور وأضرحة وأحواض ومبان ذات فسيفساء زرقاء وبيضاء غاية في الجمال ، وفيها حدائق غناء ذات أزهار وأشجار .

السُّور

يرجع تاريخ بنائه إلى أيام يعقوب المنصور الموحدي مؤسس مدينة الرباط . ويبلغ طوله حوالي خمسة كيلومترات ، ويصل ارتفاعه ، في بعض الأماكن إلى نحو عشرة أمتار ، بينما يتراوح سمكه بين مترين ومترين ونصف المتر . ويتخلل هذا السور عشرات الأبراج التي كانت مخصصة للحرس ، وفيه أيضاً خمسة أبواب رئيسية وهو يحيط بالمدينة الموحدية القديمة . وهنـاك أبواب صغيرة في مـا يسمى بالسور الأندلسي والسور العلوي ، وأخرى ثانوية افتتحت لتسهيل المرور وحركة النقل .

١ – تعتبر دباغة الجلود من الصناعات التقليديـة في المغرب العربي .

٢ – بعض آثار مدينة شالة وقد تهدمت اثر زلزال قوي أتى عليها فدمرها .

٣ – مدخل قصبة الوداية وجانب من سورها القديم .

٤ – منارة حسان ، وهي من الآثـار التاريخية في مدينة الرباط ، ويبدو حولها بعض الأعمدة التي كان المسجد مقاما عليها ، وقد تهدم نتيجة زلزال .

٤

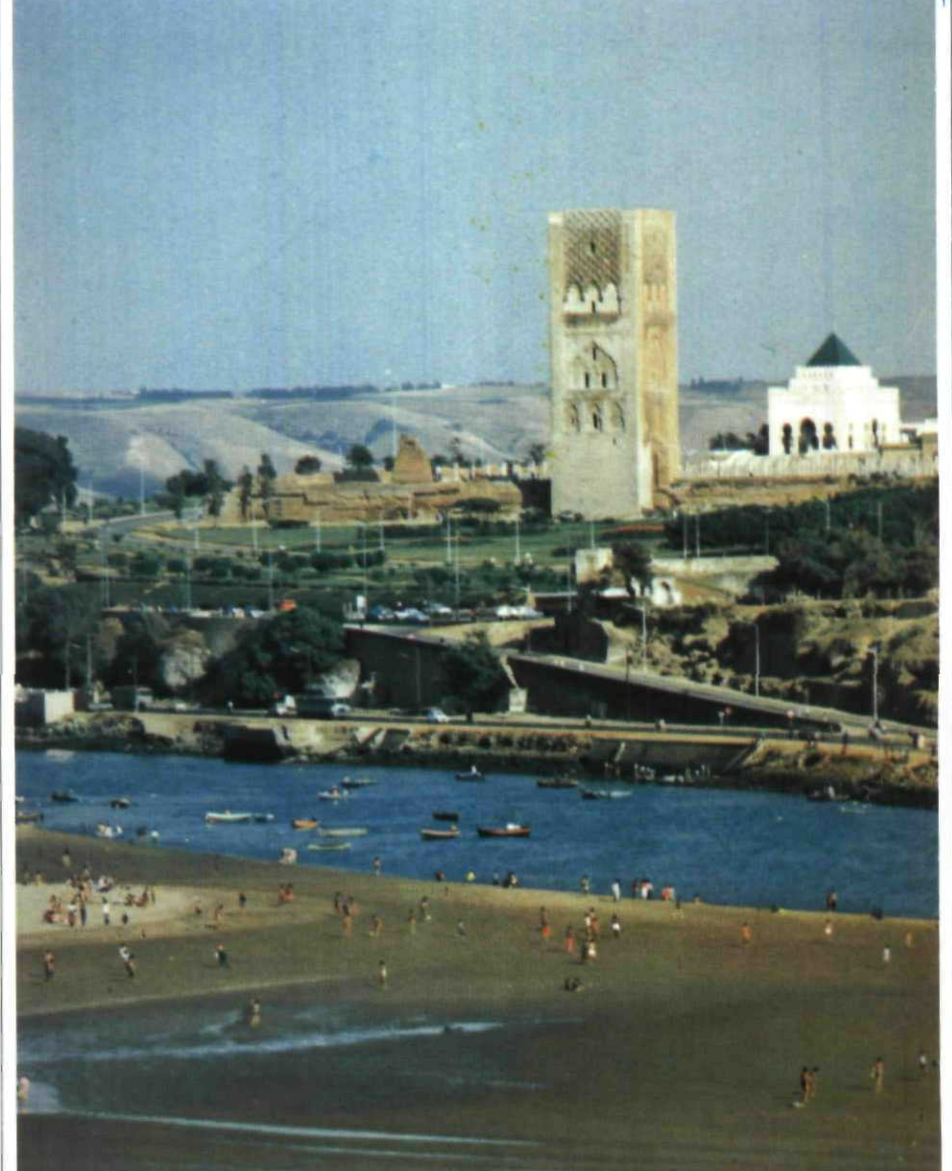
المساجد

تضم مدينة الرباط ، عددا من المساجد الأثرية ، ومن أهمها مسجد الأوداية الذي بناه يوسف عبد المؤمن ، والد يعقوب المنصور ، وهو ذو منارة عالية وهندسة معمارية جميلة . ومسجد حسان الذي تربو مساحته الاجمالية على ٢٥٠٠٠ متر مربع ، وقد اندثر الكثير من مبانيه وأهم ما بقي منه منارته الشامخة ، التي تشبه في شكلها منارة جامع اشبيلية (الخيرالدا) ، ويبلغ ارتفاعها ٦٥ مترا ، وهي مربعة الشكل يبلغ عرض كل من أضلاعها ١٦ مترا ، وقد بنيت في عهد يعقوب المنصور .

وكان من أسباب تلف بناء هذا الجامع ، الحريق الكبير الذي شب فيه والزلزال الذي وقع في ٢٦ محرم ١١٦٩ هـ . وقد أطاح بجزء من الصومعة (٦) . وقد أقيم ، مؤخرا ، مسجد فخم في تلك البقعة ، وفي البناء ضريح المغفور له الملك محمد الخامس .

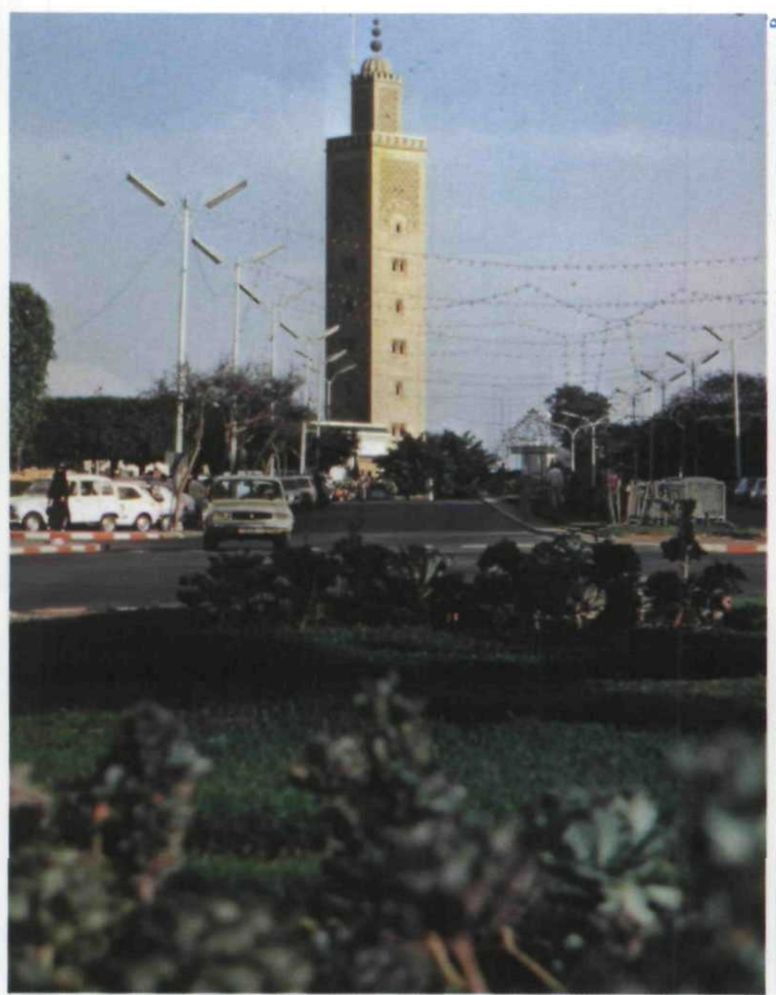
ومن المساجد الأثرية أيضاً الجامع الكبير على مقربة من باب شالة . وهناك تضارب حول تاريخ تأسيسه إذ يرجع بعض المؤرخين ذلك إلى يعقوب المنصور ومنهم من يرجعه إلى الأندلسيين الذين نزحوا إلى الرباط ، ومنهم من يقول بأنه من آثار المرينيين . وتبلغ مساحة هذا المسجد حوالي ٢٠٠٠ متر مربع . وفي عام ١٩٣٩ م رممت منارته وزيد في ارتفاعها من ٢٧ مترا إلى ٣٣ مترا . وبالمسجد ثلاثة أروقة وله ستة أبواب .

(٦) « تاريخ رباط الفتح » – عبد الله السويسي ، ص/١٣١ .





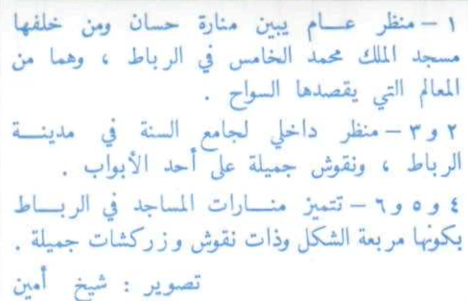






٥

٤

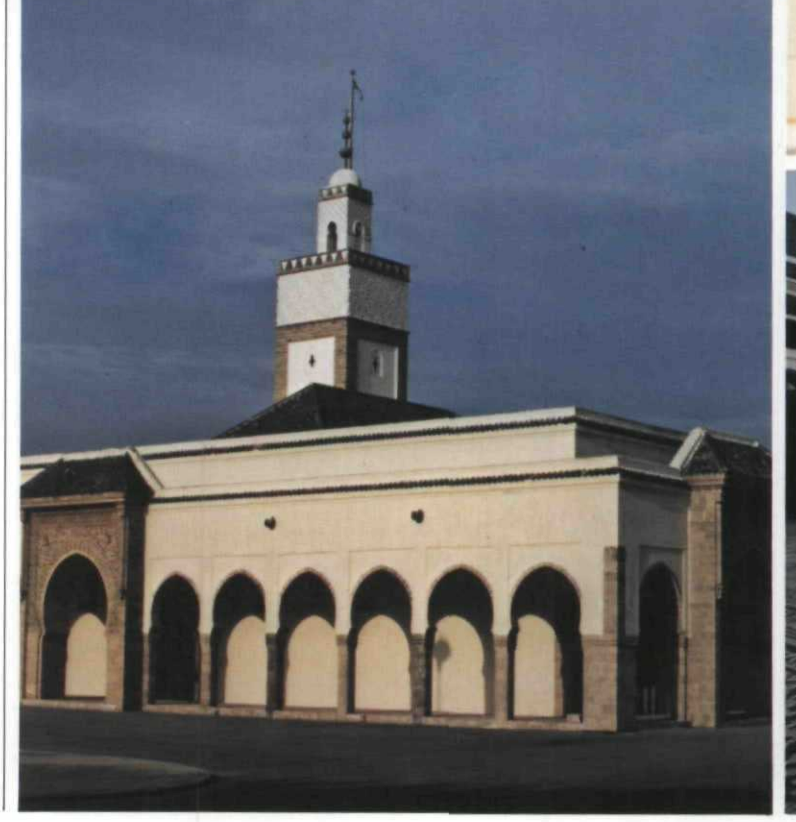


١ – منظر عـــام يبين منارة حسان ومن خلفها مسجد الملك محمد الخامس في الرباط ، وهما من المعالم التي يقصدها السواح .

٢ و ٣ – منظر داخلي لجامع السنة في مدينـــة الرباط ، ونقوش جميلة على أحد الأبواب .

٤ و ٥ و ٦ – تتميز منـــارات المساجد في الربـــاط بكونها مربعة الشكل وذات نقوش وزركشات جميلة .

تصوير : شيخ أمين



٦

أما جامع السنة الذي أسسه السلطان محمد بن عبد الله سنة ١١٩٩ هـ . فهو من أفخم المساجد عمارة وهندسة . وتبلغ مساحته ٥٥٦٥ مترا مربعا . وفي عام ١٩٦٩ م جددت وزارة الأوقاف هذا المسجد وأقامت له منارة جديدة ، يبلغ ارتفاعها أكثر من ٥٠ مترا ، بدل المنارة القديمة . كما قامت بتجديد السقف والبلاط وزينت الواجهة الأمامية بالنقوش والزخارف الجميلة . وعلاوة على ما ذكرناه هناك العديد من المساجد الأثرية الصغيرة والزوايا والمدارس والكتاتيب □

إلى المتنبي ..

في رحلته مع الحياة

هل تمادى في حبها الشعراء أم أراها تصوّفت — شهباءُ
وأنا الشاعر المولّه بالطيب — جفتني — مع النوى — سمراء
روعة العشق أن يكون التياعا وفناء .. وكم يطيب الفناء
قد تيتمت بالجمال .. غريبا وجمال الغريب .. داء عياء
وله في العروق يهدر كالسيل .. ويهمي .. كما يريد الشتاء
لك يا شعر في القلوب التفات أين منها التفاتة شقراء
أحبيب يعود في فرح الذكرى .. تولته في الغوى — صيداء
أم عظيما أرى .. وأي عظيم لم تضرجه وقفة حمراء
يا غريب المسار في الغبش الدامي تمهل .. فقد جفاك الهناء
كنت ما كنت ، غير لهفة شعر أمطرتها عزيمة عرباء

◦ ◦ ◦ ◦

ويمر الزمان في غلس التيه ثقيلا ويشتهيك بقاء
حملت سرك الدروب اليتامى وتباهت في سرك الأنحاء
جودت عهدك البعيد الصحاري وارتمت في رحابك الأسماء
وعلى سبسب الحياة غوان لك منهن صبوة وحداء
تتمنى على الذرى وكرا ووكور النسور دنياه انتشاء
فطموح الحياة كشف — مدى العمر .. تسامى .. فكانت العلياء
لا ترى المجد غير فتكته البكر طلابا .. وتمحي الأهواء

◦ ◦ ◦ ◦

وثبة منك — تترك الخيل تجري في هبوب كأنه الظلماء
فمضاء الرجال سير كما الار ياح .. في ومضها يكون المضاء
تتملى مع الرحيل سماء لوّنتها كتائب شهباء
تعشق الليل في أزورار عن النور .. وتمضي تحفك الخيلاء
وتزج النهار في الفلك الساري جريئا فتنجلي الصحراء
وتروح الأيام في دلج الأيام ذكرى يعيدها الشعراء

◦ ◦ ◦ ◦

للشاعر : اسماعيل عامود / دمشق

يا أبا الطيب ، الرخيم صداه ان ذكراك – في اللهاة غناء
كنت كالسر ومضة لفظتها الروح بوحا .. فأورقت شجراء
وتهادى على السفوح ربيع عانقته الخصيبة الرهواء
أي صقع أتيته لم تغرد في مغاني أفيائه ورقاء
تتمناك في الدروب ظباء لو تصيدتها لغارت ظباء
فإذا بالدروب تغمرها شدوا .. فتهنى في فلكها .. الجوزاء
أي شعر مرقرق السبك ينـدى .. هو للفخر والعلى أصداء
حفظ الدهر من ملاحمك الغراء .. درسا .. ورددت تيماء
تترك الشعر تارة – وتنادي عسكر المجر .. فالعدو هباء
ثم تلوي مع الجيوش شمالا تنهز النهر .. والخيول مضاء
يضرب الموج صدرها .. لا تبالي أو هاد من بعده .. أم قواء
مرة تصطليك سوأة حساد .. فتقضي .. وحولك الأرزاء ..
لم تنل منك غير نفثة حقد ثم سرعان ما يعود الصفاء

* * * *

بدوي الطباع تأنس للحب – نقيا .. ويستبيك .. وفاء ..
تنشد الصدق ، لا النفاق ولكن في دجى الناس يكثر اللؤماء
عربي الصفات شهم ، أبي ليس يرضيك في الحياة رياء
تقطع البيد في صراع مع البيد وهيهات تثمر الجرداء
فإذا بالرغاب يقتلها النحس . . . فترتد ، يحتويك الفضاء

* * * *

يا أبا الطيب الغريب مداه أين أفضت بنجمك الانواء ؟؟
أخلودا قصدت .. أم حلم الشعر بمال من دونه الأشياء ؟؟
أسراب دعاك .. أم هي دنيا في تلابيبها يجول القضاء ؟؟
أم هو الملك – عالم الشعر أسمى من قضايا تلفها الشحناء
رسمت للقريض شكلا عجيبا وتبارى في نظمه الشعراء
كم تمنيت لو تعود الينا فتكة منك – يذهب الدخلاء
فارس الشعر – هات سيفك نمضي في خميس – يسمو لديه الفداء
غاية المجد أن نوحد أرضا .. ونعيد الحمى .. ويزهو اللواء

استجابة الجسم للضغوط النفسية (٢)

بقلم: د. محمد فوغلي فرج / أبها

العلاقة

بين ما هو نفسي وما هو جسمي علاقة وثيقة وقوية . فما يؤثر على عقولنا يمتد تأثيره فورا إلى أبداننا . وقد لوحظت هذه العلاقة منذ أقدم العصور . فالخجل مثلا يؤدي إلى احمرار الوجه ، وسخونته ، والخوف يؤدي إلى اصفرار الوجه ، ووقوف الشعر ، والقلق يؤدي إلى تصبب العرق ، وهذا ما نلاحظه بالمشاهدة الخارجية بعيوننا المجردة ... بل إذا لاحظنا الحيوانات نجد أنه تطرأ عليها تغيرات جسمية عندما تتعرض مثلا للتهديد . مثال ذلك القط عندما يواجه فجأة كلبا تظهر عليه الكثير من التغيرات الجسمية مثل تقوس الظهر ووقوف الشعر وتغير شكل العينين .

وهناك تغيرات أخرى كثيرة يحس بها الشخص نفسه كما يمكن تسجيلها بالأجهزة والأدوات العلمية مثال ذلك سرعة النبض أو الارتفاع المؤقت لضغط الدم أو سرعة التنفس التي تصاحب الانفعال .

وأجهزة الجسم المختصة بتنظيم الاستجابة للعالم الخارجي هي أساس الجهاز العصبي ، وجهاز الغدد الصماء .

الجهاز العصبي

يمكن تقسيم أو تصنيف الجهاز العصبي بطرق متعددة اما تبعا لبنائه وتشريحه أو تبعا لوظائفه ، وما يقوم به . وأهم الأقسام أو الأجهزة التي يصنف إليها الجهاز العصبي ما يلي : —

• الجهاز العصبي المركزي : وهو يتكون من المخ وجذع المخ والنخاع الشوكي ، ويتصل بالجهاز العصبي المركزي مجموعتان من الأعصاب هي الأعصاب الدماغية والأعصاب النخاعية الشوكية . ووظيفة الأعصاب إما موردة للتنبيهات والاحساسات إلى الجهاز العصبي ، أو مصدرة لأوامر الحركة والاستجابة إلى أعضاء الجسم المختلفة . فهذه الأعصاب توصل الجهاز العصبي بالحواس وبأعضاء الحركة مثلا . ويتولى الجهاز العصبي مهمة تفسير أو تأويل وفهم الانطباعات الحسية ثم تقرير أنسب الطرق للرد عليها .

• الجهاز العصبي الذاتي أو المستقل (أو التلقائي) : وكما يشير الاسم فان هذا الجهاز ينظم النشاط اللاارادي للجسم ، وبذلك فهو لا يخضع للتحكم الإرادي المباشر من جانب الإنسان ، بل انه يؤدي عمله في حال يقظتنا أو نومنا وسواء شعرنا به أم لم نشعر . فهو ينظم عمل القلب والرئتين والجهاز الهضمي والبولي والغددي ، دون أن يكون لنا في ذلك دور ارادي مباشر .

ويقسم الجهاز العصبي المستقل وظيفيا إلى جهازين :

* « الجهاز السيمبتاوي — Sympathetic » وهو الذي يقوم بتنبيه واستثارة أجهزة الجسم وأعضائه المختلفة للاستجابة السريعة خاصة في ظروف الخطر المثيرة للخوف . فمهمته إذن تنشيط الكائن الحي ، وتجنيد طاقته للرد على مصادر التهديد . فالخوف مثلا يؤدي إلى زيادة سرعة دقات القلب وسرعة التنفس وافراز العرق . وشد العضلات ووقوف الشعر .
* « الجهاز الباراسيمبتاوي — Parasympathetic : ووظيفة هذا الجهاز هي عكس وظيفة الجهاز الأول السيمبتاوي . فكأنه يعمل كابحا لسرعة انطلاق الجهاز الأول .

ورغم أن الجهاز اللاارادي لا يخضع للتحكم المباشر فانه من الممكن التأثير عليه بالطرق غير المباشرة من خلال التفكير والتأمل والتخيل .. وما إلى ذلك .

الجهاز الغددي - الغدد الصماء

للغدد الصماء — Endocrines أهمية كبيرة في استجابات الكائن الحي وما يمر به من انفعالات . وهي تتبادل التأثير والتأثر مع الجهاز العصبي . فالجهاز العصبي ينبهها لإفراز الهرمونات ، كما أن الهرمونات الصادرة عن بعض الغدد الصماء تؤثر على عمل الجهاز العصبي . وتفرز الغدد هرموناتها التي تحتوي على مواد كيميائية تصل إلى جميع أجزاء الجسم خلال ١٥ ثانية (١) ، ومن أهم الغدد الصماء :

* الغدة النخامية — Pituitary gland
* الغدة الدرقية — Thyroid gland
* الغدد جارات الدرقية — Parathyroid glands
* الغدد الادرينالية أو فوق الكلوية — Suprarenal glands
* البنكرياس
* الغدد الجنسية (الخصيتان عند الذكر . والمبيضان عند الأنثى)

ويلاحظ أن الغدة النخامية التي توجد في قاعدة المخ تؤثر تأثيرا كبيرا على عمل الغدد الأخرى . وذلك من خلال الهرمونات الخاصة التي تفرزها هذه الغدة والتي تنشط من عمل الغدد الأخرى . ولذلك أطلق عليها البعض اسم «مايسترو الغدد» ، ومما يهمنا هنا بشكل خاص تأثيرها على كل من الغدة الدرقية والغدد فوق الكلوية .

وللغدد فوق الكلوية أهمية كبيرة في مواجهة الكائن الحي لحالات الطوارئ وفي استجابة الانعصاب .

نخاع الغدة الأدرينالية

وهو يفرز نوعين هامين من الهرمونات هما : « الأدرينالين والنور أدرينالين — Adrenaline & Noradrenaline »وللادرينالين وظائف عديدة أهمها :

* توسيع حدقة العين .
* زيادة سرعة القلب وقوة دقاته .
* انقباض الأوعية الدموية في الاحشاء وانقباض الشرايين الصغيرة والشعرية في الجلد مع توسيع الأوعية الدموية

الذاهبة إلى القلب وإلى العضلات المخططة أي تلك التي تحيط بالهيكل العظمي .
* كف نشاط جدران الأمعاء واغلاق العضلات .
* تحويل الجليكوجين في الكبد إلى سكر (جلوكوز) وانقباض جدران المرارة .
* مقاومة التعب العضلي وزيادة قابلية العضلة للتنبيه .

وتشبه وظائف النورأدرينالين هذه الوظائف وان كان مفعوله أقوى في زيادة ضغط الدم .

لحاء الغدة فوق الكلوية

ويتم تنشيط افرازات لحاء الغدة الادرينالية عن طريق احد هرمونات الغدة النخامية المسمى «A.C.T.H.» وأهم ما يفرزه من هرمونات «الكروتيزون والكورتيزول — Cortisone & Cortisol» وهما يلعبان دورا هاما في عمليات البناء والهدم ، وزيادة نسبة السكر في الدم ورفع ضغط الدم ، كما يقلل من المناعة الخاصة ضد العدوى والجراثيم . كما يفرز هرمونا آخر هو «الألدوسيترون—Aldosterone» الذي يؤدي إلى زيادة شديدة في ضغط الدم . ونؤكد هنا بوجه عام دور افرازات لحاء الغدد الادرينالية في ظروف الانعصاب لمساعدة الكائن الحي على التكيف لتلك الظروف .

الانفعال والجسم

رأينا من خلال العرض السابق تلك الأجهزة الجسمية التي تقوم بمهمة التفاعل مع البيئة . وسوف نعرض فيما يلي لكيفية عمل تلك الأجهزة في حالة الانفعال والضغوط النفسية .

وقد أظهرت البحوث العلمية أن الضغوط النفسية أو الانعصاب تنبه أو تنشط الكائن الحي . ويحدث هذا التنبيه على المستوى العقلي والوجداني والفزيولوجي والسلوكي .

فمن المعروف أن مواجهة الانسان للخطر تجعل ذهنه شديد اليقظة وعلى استعداد للتحرك السريع في مواجهة الأخطار المحدقة .. كما أن التفكير فيما يحتمل أن يحدث من أضرار أو فشل أو خسائر يؤثر على الفرد تأثيرا سلبيا يجعله مضطربا انفعاليا . ويصحب هذه الأفكار والمشاعر تغيرات فيسولوجية تطرأ على الانسان مثل سرعة النبض وارتفاع ضغط الدم وسرعة التنفس وافراز العرق واضطرابات الهضم . وبذلك يمكن تحليل الانفعال إلى العناصر الآتية :

* العنصر الفكري : وهو ادراك أو فهم الموقف بكل ما يسببه أو يحتمل أن يسببه للفرد .
* العنصر الوجداني : وهو عبارة عن ذلك الشعور أو الوجدان المصاحب للانفعال والذي يتراوح بين الارتياح أو الضيق ، والرضا أو الغضب ، والسرور أو الحزن .
* العنصر الفسيولوجي : وهو الآثار الجسمية للانفعال كزيادة ضربات القلب أو سرعة التنفس أو افراز العرق أو ارتفاع ضغط الدم أو توقف عمليات الهضم .
* العنصر السلوكي : وهو يشير إلى السلوك أو التصرفات التي يقوم بها الفرد للرد على مصدر الخطر ، فقد يهجم على مصدر الخطر ، أو قد يولي الهرب أو قد يجهش بالبكاء .

وفي حالة مواجهة الخطر يكون الانسان مهيئا للهجوم على مصدر الخطر أو الهروب منه ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه استجابة الكر والفر . وهو التعبير الذي أطلقه عالم الفسيولوجيا الأمريكي الشهير « والتر كانون — Walter Connon » ، وهذه الاستجابة هي عبارة عن نمط متناسق من الاستجابات التي تحدث عندما يواجه الجسم أمرا طارئا . فعندما يواجه الانسان الخطر كأحد الوحوش الضارية مثلا ، فان الجهاز العصبي المستقل— Autonomic Nervous System ، يقوم فورا بإعداد الجسم للاستجابة السريعة بالتقهقر السريع أو الهجوم الساحق على مصدر الخطر . ويقوم المهاد التحتاني بتنشيط الغدة النخامية فتفرز هرمون «ACTH» في مجرى الدم . وسرعان ما يسير هذا الهرمون في الدم ليصل إلى الغدد فوق — الكلوية وينبهها فتفرز عددا من الهرمونات في مجرى الدم أهمها الأدرينالين والكورتيزون وتنتشر هذه الهرمونات في الدم محدثة التغيرات الهامة بالنسبة لبقاء الكائن الحي ومواجهته للخطر المحدق .

وقد أجرى « كانون » الكثير من التجارب على استجابة الكائن الحي للأزمات التي تواجهه ، وفي احدى هذه التجارب درس استجابات القط عندما يواجهه فجأة كلب . فوجد أن الأدرينالين يتم افرازه فورا وصبه في مجرى الدم .

ويؤدي افراز هذه الهرمونات إلى العديد من التغيرات فهي تسرع من الدورة الدموية ويزداد السكر الغني بالطاقة في الدم ، ويزداد حدوث تجلط الدم تحسبا لوقوع الاصابات . ويسرع التنفس لتزويد الجسم بمزيد من الأوكسجين . ونظرا لأن المواجهة مع مصدر الخطر لا تحتاج في تلك اللحظة إلى نشاط الجهاز الهضمي فانه يتعطل عن العمل مؤقتا . وهذه التغيرات تستهدف جعل الكائن الحي قادرا على مواجهة الخطر بالهجوم والقتال أو الهروب والنجاة أي أنها عبارة عن عملية تكيف لمواجهة الخطر تزيد من فرص البقاء للكائن الحي . وقد لاحظ « كانون » أن هناك الكثير من الظروف الأخرى التي تنشط هذه الاستجابات منها الألم ، والاصابات الجسمية والانفعالات الشديدة كالخوف أو القلق أو الغضب .

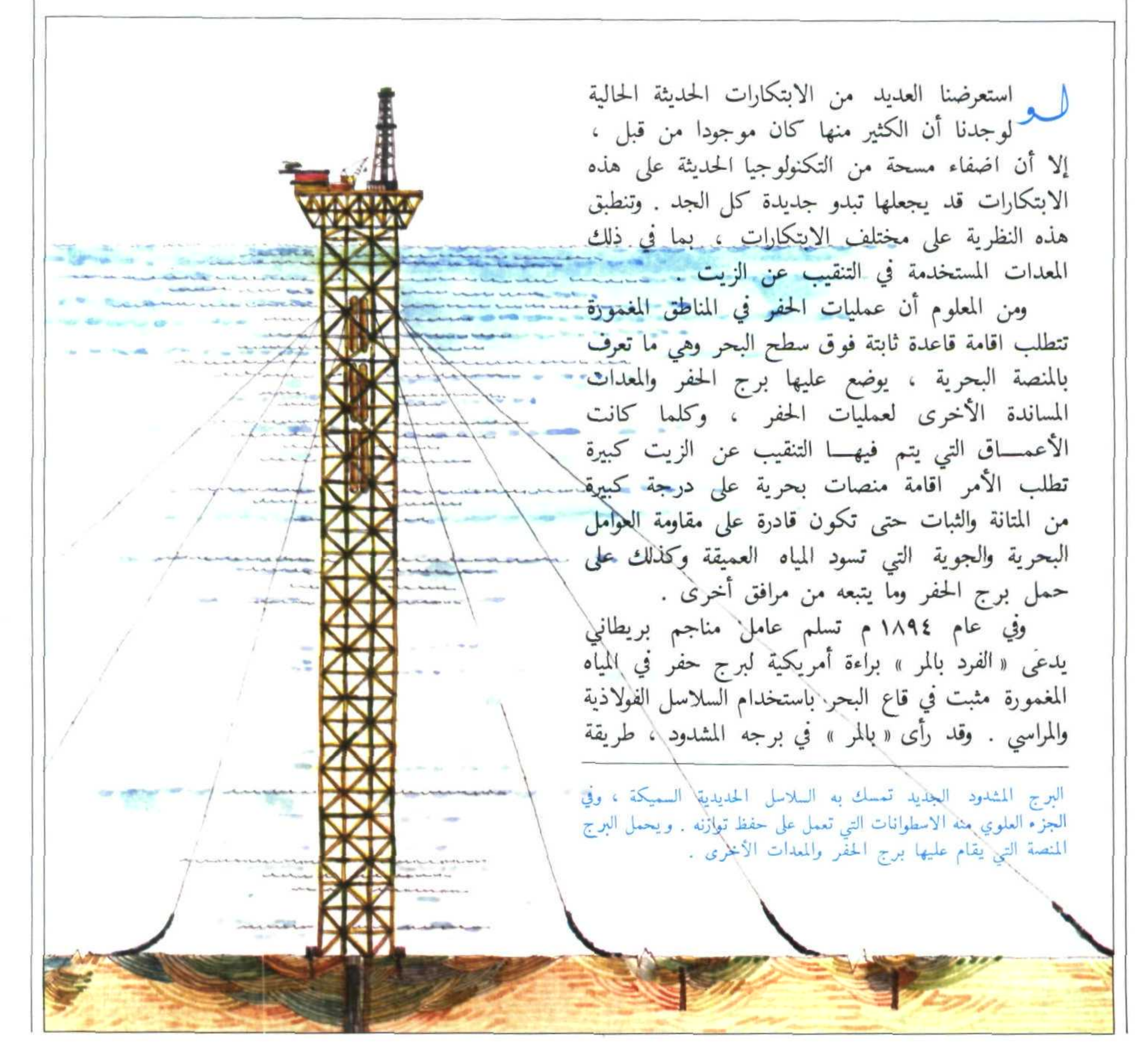
وقد تكون بعض الظروف الحياتية الضاغطة واضحة جلية مثل دخول معركة أو توقع اجراء عملية جراحية أو وجود مشاكل شخصية خطيرة .

لقد أصبحت المشكلات التي تواجه الانسان المعاصر عقلية أو فكرية كالوحوش التي كانت تواجه الانسان القديم . وكانت استجابة الجسم السفيولوجية لازمة لانقاذ الانسان من الوحوش . أما اليوم في عالم مليء بالضغوط المعنوية التي تتطلب التفكير الهادئ البناء يعايش الناس تلك الضغوط وهم على أعلى درجات التوتر الجسمي والنفسي كمثل من يسير على حبل مشدود . والنتيجة هي انتشار هائل لأمراض العصر التي تقتل في صمت مثل ارتفاع ضغط الدم ، وأمراض الكلى ، وقرح الجهاز الهضمي واضطرابات الغدد والروماتيزم والربو وغيرها . وهي ما يسمى بالأمراض السيكوسوماتية أي النفسية — الجسمية .

ولابد لنا أن نفهم كيف تنشأ هذه الأمراض بفعل الضغوط الحياتية وآثارها السيكوفسيولوجية ، وأن نفهم أيضاً سبل الوقاية من تلك الأمراض قبل حدوثها □

تطور أساليب الحفر في المياه العميقة

اعداد : يعقوب سلام / هيئة التحرير



لو استعرضنا العديد من الابتكارات الحديثة الحالية لوجدنا أن الكثير منها كان موجودا من قبل ، إلا أن اضفاء مسحة من التكنولوجيا الحديثة على هذه الابتكارات قد يجعلها تبدو جديدة كل الجد . وتنطبق هذه النظرية على مختلف الابتكارات ، بما في ذلك المعدات المستخدمة في التنقيب عن الزيت .

ومن المعلوم أن عمليات الحفر في المناطق المغمورة تتطلب اقامة قاعدة ثابتة فوق سطح البحر وهي ما تعرف بالمنصة البحرية ، يوضع عليها برج الحفر والمعدات المساندة الأخرى لعمليات الحفر ، وكلما كانت الأعمــاق التي يتم فيهــا التنقيب عن الزيت كبيرة تطلب الأمر اقامة منصات بحرية على درجة كبيرة من المتانة والثبات حتى تكون قادرة على مقاومة العوامل البحرية والجوية التي تسود المياه العميقة وكذلك على حمل برج الحفر وما يتبعه من مرافق أخرى .

وفي عام ١٨٩٤ م تسلم عامل مناجم بريطاني يدعى « الفرد بالمر » براءة أمريكية لبرج حفر في المياه المغمورة مثبت في قاع البحر باستخدام السلاسل الفولاذية والمراسي . وقد رأى « بالمر » في برجه المشدود ، طريقة

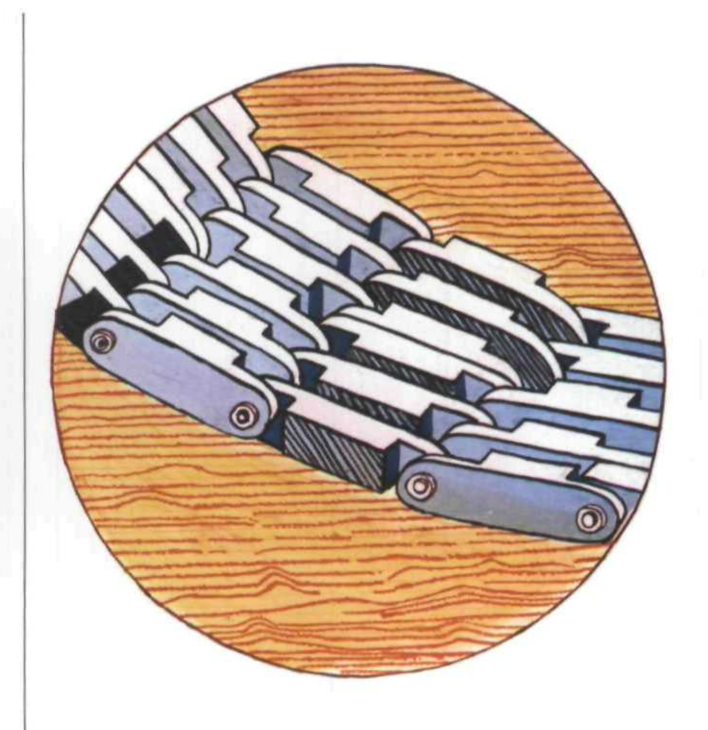
البرج المشدود الجديد تمسك به السلاسل الحديدية السميكة ، وفي الجزء العلوي منه الاسطوانات التي تعمل على حفظ توازنه . ويحمل البرج المنصة التي يقام عليها برج الحفر والمعدات الأخرى .

جديدة للتنقيب عن ترسبات الفحم تحت قاع البحر في اسكتلندا . وفي عام ١٩٦٥ م اقترح « روبرت بيك » ، أحد كبار المختصين في الأبحاث بشركة « اكسون » للانتاج ، اقترح أيضاً استخدام البرج المشدود بالسلاسل في استخلاص الطاقة من اسفل قاع البحر . لكن « بيك » كان يفكر في الواقع بالزيت والغاز وليس بالفحم .

ومن المتوقع أن تصبح فكرة البرج المشدود بحلول عام ١٩٨٣ م أمرا حقيقيا وذلك عندما تقوم شركة « اكسون » بوضع أول وحدة عاملة من هذا النوع في خليج المكسيك وهي من تصميم المهندسين العاملين وبمساعدة قسم الأبحاث الخاص بالانتاج لديها . وسيتم وضع هذه الوحدة في منطقة تم اكتشافها وأطلق عليها اسم « لينا » على بعد ٦٥ ميلا جنوب شرق غراند آيل بولاية لويزيانا . ويتوقع أن يتواجد تحت أسفل البرج « لينا » على عمق ألف قدم من المياه ، وعلى بعد آلاف من الأقدام في قعر البحر ، ما يقدر بحوالي ٥٠ بليون برميل من الزيت الخام الممكن استخراجه . وسيبدو البرج المشدود عندما يتم ارساؤه فوق الموقع المخصص للحفر كسارية ضخمة مزدانة بالأنوار ترتفع عاليا في وسط البحر . وسيكون البرج بشكل رئيسي عبارة عن هيكل فولاذي مسنم ، يشبه إلى حد ما السقالات التي ترتكز على أرضية البحر ، يعلوها سطح فولاذي ويجري تثبيتها والمحافظة عليها بشكل مستقيم بواسطة كابلات التثبيت الخاصة بها .

كانت قدرة الهيكل البحري في مقاومة التقلبات الجوية المضطربة هي النقطة الرئيسية التي أخذت بعين الاعتبار لدى تصميم البرج الفولاذي . والطريقة الوحيدة لبناء هيكل تقليدي مناسب للعمل في المياه العميقة هي جعله أكبر حجما . وهذا يعني بالتالي أن يكون أكثر طولا وأثقل وزنا ويرتكز على قاعدة أكثر عرضا . كما يعني أن يكون مثبتا في قاع البحر بركائز متينة . في نهاية الأمر نجد أنه قد أصبح لدينا هيكل فولاذي عملاق . ورغم أنه بالإمكان تركيب مثل هذا الهيكل العملاق جزءاً جزءاً ، إلا أن هيكلا في مثل هذه الضخامة يحتاج إلى معدات عملاقة تقوم بنقله وتثبيته في الموقع المحدد له في البحر .

إن الفكرة التي يرتكز عليها البرج المشدود ، هي أن لا يكون هيكله صلبا وقاسيا لدرجة كبيرة ، حتى يستطيع مقاومة الرياح والأمواج وقوى التيارات المائية . وعندما تضغط هذه القوى مجتمعة



الاسطوانات المليئة بالهواء وعددها ١٢ أسطوانة تستخدم في مجموعات من أربع اسطوانات توضع على عمق ٨٠ قدما تحت سطح الماء داخل البرج .

ضد البرج المشدود فان البرج يتحرك قليلا حوالي بوصتين أو ثلاث بوصات فقط ، إلا في حالة استمرار عوامل الريح . وعندما تهدأ هذه القوى يعود الهيكل الفولاذي إلى وضعه العمودي العادي .

كانت فكرة الهيكل البحري تبدو سابقة لأوانها ، ولكن خلال اكتشاف الزيت الخام بكميات متزايدة في مياه عميقة ، كان هناك مهندسون يبحثون عن البديل للمنصة التقليدية لانتاج الزيت بحيث تكون ثابتة في موقعها بقوة .

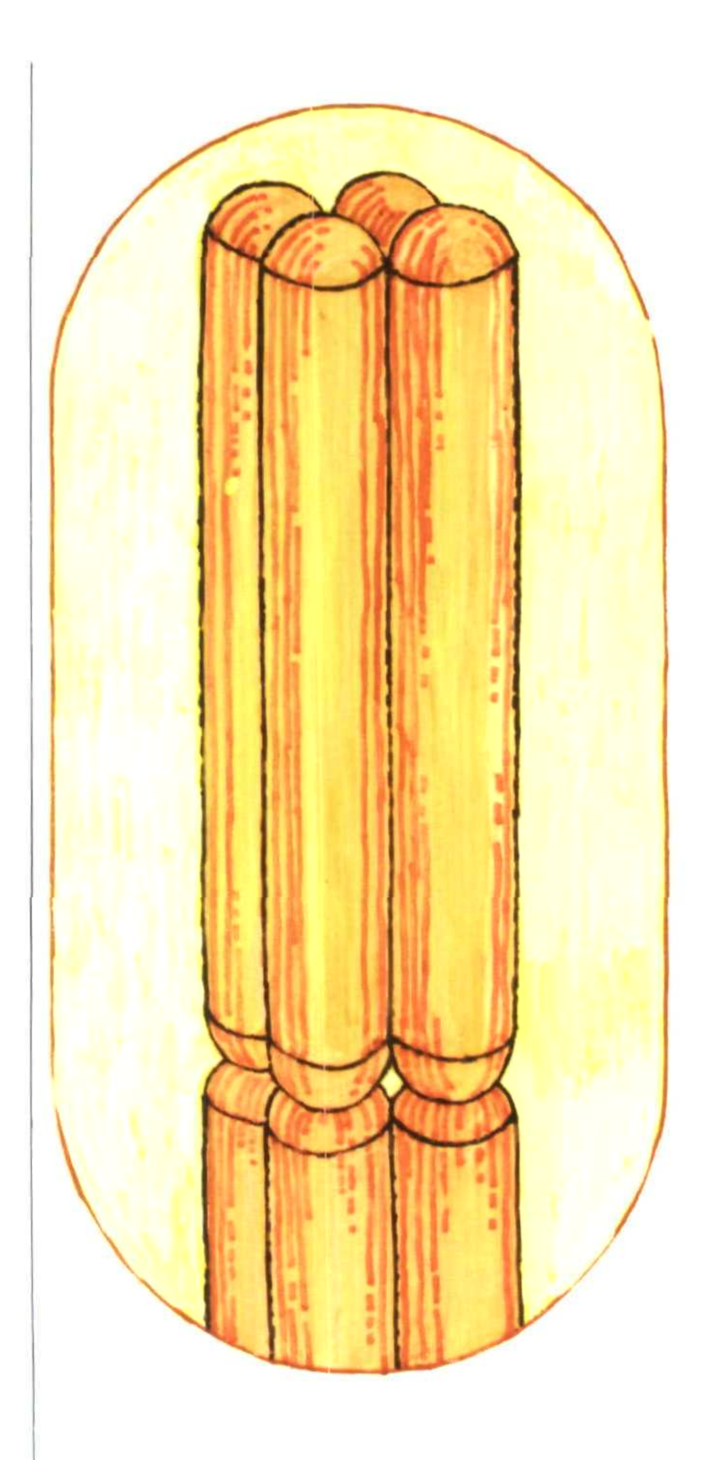
كما كان من الممكن تطوير حقل « لينا » للزيت إما باستخدام المنصة التقليدية أو البرج المشدود ، وتقف منصة الحفر « هوندو » التي تمتلكها الشركة بعيدة من ساحل كاليفورنيا في مياه يصل عمقها إلى ٨٥٠ قدما . وقد كانت عملية إحداث توسعة على التصاميم الأساسية لمنصة الحفر « هوندو » مسألة ضرورية من الناحية التقنية . ولهذا ، فقد صمم البرج المشدود للعمل في مياه يتراوح عمقها ما بين ألف وألفي قدم .

ونظرا لأن جميع أعمال الحفر والانتاج تتم من على المنصة ، فان البرج المشدود يكون أكثر فعالية في الأعماق المحددة بألفي قدم من وحدات الانتاج تحت سطح البحر والتي تستقر على أرضية البحر .

لم تلق فكرة البرج المشدود ، في بادىء الأمر ، الاهتمام اللازم ، فأهملت . وفي عام ١٩٦٥ م اتجه اهتمام الباحثين بدلا من ذلك إلى البرج العائم الذي كان من المفروض أن يتم تثبيته في قاع المحيط بواسطة محور ضخم — Universal Joint يسمح بتحرك البرج العائم على المحور حسب تحرك القوى المضادة للبرج . ويقضي هذا النوع من التصميم بأن تقوم الخزانات الخاصة بالبرج العائم والمثبتة بالقرب من الجزء العلوي من البرج تحت الماء بإعادة البرج العائم إلى وضعه العمودي . ومع استمرار التجارب وتقدمها في هذا المجال ، فقد بدا لرجال الأبحاث أن فكرة البرج العائم قد تكون هي الراجحة ، باستثناء عنصر واحد هو المحور الدوار الخطر . ذلك أن حدوث أي خلل في عمل هذا المحور قد يعرض الهيكل الفولاذي وما يحمله من معدات أخرى للخطر .

ونظرا لعدم الرغبة في تحمل مسؤولية القيام بمثل هذه المجازفة ، فقد تخلى الفريق المكلف بإجراء الأبحاث عن فكرة استخدام المحور الدوار . وعند هذه النقطة عادت فكرة « بيك » الخاصة بالبرج المشدود إلى حيز الوجود من جديد ، وسيكون هذا البرج مثبتا في قاع البحر بطريقة مأمونة تضمن وجود قاعدة ثابتة له . وستقوم كابلات متينة مثبتة بشبكة ارساء ، بتأمين وضع عمودي للبرج .

وقد نجحت هذه الفكرة ولاقت قبولا من قبل المسؤولين عن أعمال الأبحاث وانضم « لن فين » أحد الخبراء إلى الفريق عند هذه النقطة وبدأت عملية اعداد التصاميم اللازمة واجراء الاختبارات الضرورية . ويوضح هذا الخبير الفكرة فيقول : « ان فكرة البرج المشدود فكرة جديدة يجري العمل على تطويرها على عدة مراحل . فأولى هذه المراحل القيام بمراجعة الحسابات الخاصة بالهيكل ، ثم اختبار نموذج مصغر من البرج يكون على ارتفاع بضعة أقدام فقط . ومن ثم اجراء اختبارات على نموذج بياني نسبي للبرج . وكان حجم النموذج الذي أجريت عليه الاختبارات في هذه الحالة يعادل خمس الحجم الحقيقي للبرج ، وقد تم ذلك في مياه عمقها ١٥٠٠ قدم . وعندما انتهت الاختبارات على كل قسم من أجزاء البرج ، بدىء بدراسة النتائج التي تم التوصل إليها وأجريت التعديلات اللازمة على الهيكل ، كذلك وضعت الحلول المناسبة للمشاكل التي برزت أثناء مراحل الاختبارات المتعددة .



الكتلة الحديدية التي تستخدم في تثبيت وارساء البرج وتزن الواحدة ١٨٠ طنا،وهي مصنوعة على شكل سلسلة الدراجة الهوائية سهلة الحركة .

وقد أجريت الدراسات الخاصة بخزان الأمواج — Wave Tank في كاليفورنيا على برج مصغر تم اختباره في أجواء شبيهة بالأجواء البحرية الحقيقية . وقد أظهرت هذه الاختبارات الكيفية التي يستجيب إليها البرج بالنسبة للتيارات المائية بما في ذلك الأمواج البحرية المختلفة .

لقد بدأت الاختبارات النهائية الخاصة بالبرج المشدود في خريف عام ١٩٧٥م عندما أقيم برج اختباري يبلغ حجمه خمس حجم البرج الحقيقي في مياه عمقها ٣٠٠ قدم في خليج المكسيك بالقرب من « جراند آيل » . وبالرغم من أن برج الاختبار هذا لم يكن مأهولا ، فان المنصة كانت مزودة بمطار لهبوط الطائرات الحوامة ، وبمولد للطاقة الكهربائية ، وبمعدات لقياس ارتفاع الأمواج والتيارات المائية وسرعة الرياح واتجاهاتها ، وحركات المنصة ودرجات ميلان البرج ، وقوة الضغط والتوتر بالنسبة لكابلات التثبيت .

وقد أحدث ارتطام أمواج بلغ ارتفاعها عشرين قدما ببرج الاختبار ، قوة توازي ارتطام أمواج ارتفاعها مائة قدم ، وهذا ما يحدث بالفعل في مياه كمياه بحر الشمال . وكان الفريق المسؤول عن هذه الاختبارات يتفقد البرج شهريـــا لتدوين القراءات اللازمة ومعاينة المعدات للتأكد من دقة عملها .

وخلال السنوات الأربع التي استمرت فيها التجارب الخاصة على البرج الاختباري الذي بلغت تكاليفه نحو ٣,٣ ملايين دولار ، أعطى البرج معلومات دعمت اعتقاد الفريق المسؤول عن المشروع بأن البرج المشدود كان مصمما في الأساس لمنصة انتاج تعمل في المياه العميقة .

لكن الأمر كان يتطلب ادخال المزيد من التحسين والتطوير على تصاميم البرج . وعلى الرغم من أن التجارب التي أجريت على البرج قد أظهرت أن طريقة التثبيت قد تمكنت من المحافظة على البرج ضمن درجتين فقط من الوضع العمودي الكامل تحت ظروف عاصفة ، فان المزيد من وسائل السلامة قد تمت اضافتها إلى البرج المشدود ، ومن هذه الاضافات ، ١٢ اسطوانة مليئة بالهواء تم وضعها في ثلاث مجموعات ، وكل مجموعة مؤلفة من أربع اسطوانات تم وضعها في النصف العلوي من الهيكل الفولاذي الذي يحمل البرج . ويرتفع برج الحفر الموجود فوق المنصة ١٣٠٠ قدم عن سطح البحر ، وهو يزيد قليلا على ارتفاع مبنى « الامباير ستيت » في مدينة نيويورك .

وسيشمل سطح المنصة ذو الثلاثة مناسيب للطاقة والذي تبلغ مساحته ٧٥ ألف قدم مربع ، معدات خاصة بعمليات الحفر الانتاجية حيث يمكن حفر ٥٤ بئرا كحد أعلى من البرج ، وعمليات الانتاج . وستزود المنصة بمرافق سكنية تتسع لحوالي تسعين شخصا خلال عمليـــات الحفر ، وأربعين شخصا خلال عمليـــات الانتـــاج .

وسيكون الجزء العلوي من البرج المشدود على هيئة منصة تقليدية تحمل ثلاثة أسطح ترتفع حوالي مائة قدم فوق سطح الماء . وبالإضافة إلى البرج التقليدي ، فان الهيكل الفولاذي القائم تحت الماء لا يأخذ في الاتساع عند القاعدة .

ونظرا لخفة وزن الهيكل الفولاذي نسبيا ، فان البرج المشدود وحده سيحتاج إلى حوالي نصف كمية الفولاذ المراد استخدامه في بناء منصة تقليدية على نفس الارتفاع . وعلى كل حال ، فان كمية الفولاذ المطلوبة لإعداد الكوابل وأجهزة الارساء ترفع كمية الفولاذ اللازمة إلى حوالي ٨٥ ٪ من مجموع كميات الفولاذ اللازم لبناء هيكل فولاذي تقليدي يعمل في مثل هذا العمق من الميـــاه .

غير أن هناك فارقا رئيسيا في التصميم بين المنصة التقليدية والبرج المشدود ، ويتلخص هذا الفارق بوجود كابلات لشد وتثبيت البرج التي بواسطتها يتم تأمين سلامة البرج الجديد . ومن بين هذه الكابلات عشرون كابلا سمك الواحد منها خمس بوصات ، تمتد بشكل متواز من نقطة في أعلى البرج على عمق ٨٠ قدما من سطح الماء . وفي نهاية كل من هذه الكابلات توجد كتلة حديدية للإرساء زنتها ١٨٠ طنا على شكل سلسلة الدراجة الهوائية . وترتبط الكتلة الحديدية بسلسلة ارساء طولها ١٢٠٠ قدم ، وهذه السلسلة ترتبط بدورها بعامود ارساء منغرس على عمق يتّراوح بين ١٠٠ و ١٥٠ قدما في قاع البحر . وعندما يتحرك البرج بفعل الرياح أو القوى المائية ، فان الكابلات ترفع أو تخفض جزءا أو أكثر من الكتلة الحديدية .

وبعد ، فان مثل هذا الانجاز في عالم صناعة الزيت يعتبر من الانجازات المثيرة . وعلى الرغم من التجارب العديدة التي يجريها رجال الأبحاث على البرج المذكور ، فإنهم على وشك الوصول إلى تحقيق الهدف المنشود . كما أن التكاليف المترتبة على بناء هذا النوع من الأبراج ستكون أقل من التكاليف المترتبة على بناء الأبراج الحالية . وسيشهد العقدان القادمان نشاطا ملحوظا في عالم صناعة الزيت وفي مجال تأمين الطاقة . وسيكون لهذا النوع الجديد من أبراج الحفر دور فعال في انجاز الكثير من مراحل عمليات الحفر في صناعة الزيت المتشعبة □

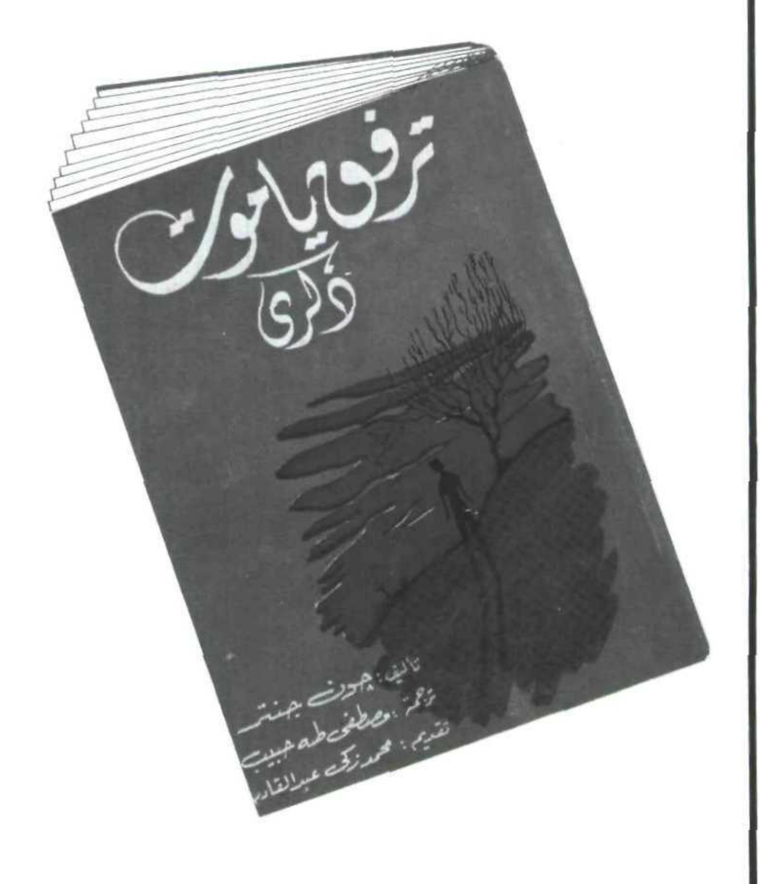


تأليف : جون جنتر

ترجمة : مصطفى طه حبيب

تقديم : محمد زكي عبد القادر

عرض وتقديم : آمال حسين بغدادي / القاهرة



بعض الأعمال الأدبية والفنية تحمل معها ومن البداية ، جواز سفر ذا تأشيرة صالحة للنفاذ إلى كل القلوب والنفوس ، ولعلنا نتساءل ما هو السر وراء هذا ؟!

• هل لأنها تفيض بالصدق الانساني ؟ ..

وبتعبير آخر :

• هل لأنها تعبر عن تجربة ومعاناة حقيقية ومعاشة ؟

أحسب أن الاجابة صحيحة ، فإذا اجتمع مع الصدق الانساني ، ومعاناة التجربة الحقيقية ، فقدان أحد الأحبة بالموت ، كنا إزاء عمل فني أو أدبي رائع .

جالت هذه الخواطر في أعماق نفسي وفي كوامنها ، بعد أن عايشت شخصية « جوني الصغير » ، وهو يصارع الموت صراعا بطوليا ملحميا طوال خمسة عشر شهرا ، في ذكريات رواها « جون جنتر » بمداد من ذوب قلبه ومشاعره الأبوية ، ويالهـا من تجربة انسانيـة جياشة ، عندما يبدع الفنان أو الروائي من داخل التجربة الأليمة .

فمن هو أولا : « جون جنتر » !

انه الكاتب الأمريكي الشهير مؤلف سلسلة الكتب السياسية المشهورة ، والتي أصدرها تحت عنوان : « في داخل » ، وكانت « في داخل آسيا ، في داخل افريقيا ، في داخل أوروبا ، في داخل روسيا ، وفي داخل الولايات المتحدة الأمريكية » .

وتختلف ذكرياته المعنونة بـ « ترفق يا موت » ، عن كتبه السابقة ، اختلافا تاما ، في أن هذه الذكريات تجسيد لمحاولة أليمة وهو يعتبرها جزءا من كيانه المكلوم . ويقول « جون جنتر » : ليست هذه سيرة شخصية لجوني بالمعنى التقليدي ، بقدر ما هي قصة كفاح طويل شجاع بين طفل وبين الموت ، وحين يصف مشاعره يقول : « هذا الخراب البشري المرعب الذي تمثل في موت جوني » .

ان « ترفق يا موت » احدى مآسي العصر الحديث بلا مراء ، هذا العصر الذي ارتفعت فيه هامـة الانسان إلى أعلى بما حققه من منجزات وما وصل إليه من تقدم ، ولكنه أيضاً في نفس الوقت العصر الذي حمل إلى الانسان : المجازر الجماعية ، والأمراض النفسية ، والجنون الانساني المروع ، ومرض السرطان .

وإذا كان الاغريق قد قدموا «تراجيدياتهم» وبنوا أفكارها الرئيسية على محاولة البشر « الفانين » الهروب من الأقدار التي خطتها ورسمتها آلهة الأوليمب ، وكان النموذج المثالي لهذه المآسي ، مأساة



أوديب « الانسان » ، فان عصرنا الحاضر المبهر بانجازاته الحضارية المادية ، قد قدم أيضاً مآسيه الخاصة به ، وإذا كان المعلم « أرسطو » يعرف المأساة بأنها « محاكاة أي حدث يثير انفعال الألم ، وغالبا ما ينتهي بالموت ، حيث يكون بطل هذا الحدث شخصا ذا مكانة عالية ، وحيث تؤدي عاطفتا الخوف والشفقة إلى تخليص النفس من هذه الانفعالات » ، فان البطولة في مآسي عصرنا معقود لواؤها بنماذج انسانية ، ربما كان منها من يواجه غيلانا مدمرة كمرض السرطان .

فما هي مأساة « جوني الصغير » ؟

– كان جوني دون السادسة عشرة حينما أصيب بورم في المخ ، تبين بعد التحليلات والفحوص أنه سرطان ، واستمرت محـاولات العلاج خمسة عشر شـهرا ، لكن دون جدوى ، فانطفأت ذبالة حياته .

ان عظمة المأساة تتكشف عن ضوء طفولة جوني ، التي كانت تنبىء بشخصية مؤثرة في المستقبل ، فقد كانت اهتمامات جوني وهو طفل تدور في إطار موسوعي ، فعرف الرسم ، واهتم بتعلم الموسيقى فدرس الكمان ، وتذوق سيمفونيات « شوبرت » وهو في العاشرة من عمره ، وهزم أباه في لعبة الشطرنج ، وكانت التنبؤات بالطقس والمناخ تستهويه ، وعشق زراعة الحدائق بدون تربة ، وجمع عينات من الصخور ، وكانت لديه مجموعة من السلاحف والقطط والكلاب التي يعنى بها ، وكان للعلوم نصيب من عشقه أو جنونه بالمعرفة ، فكان له معلمه المزود بالأجهزة والآلات والمواد الكيميائية ، وكان للرياضة نصيب في حياته ، فأجاد السباحة وركوب الخيل ولعبة « البيسبول » .

وفي الوقت الذي كان يؤدي فيه واجباته المدرسية كان لديه محل لكي أربطة العنق ليكتسب بعض النقود في حالة غياب أبيه ، وفي عامه الأخير الذي حفل باجراء التحليلات والفحوص والعمليات الجراحية على مخه ، أصر على أن يذاكر واستطاع أن ينجح في نيل شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة « دير فيلد » ، وكان يستعد للالتحاق بكلية « هارفارد » .

كما أن عظم المأساة يعود إلى أن « جوني الصغير » خاض ولمدة خمسة عشر شهرا ، بطولة خارقة تدل على أن الانسان قد وهب قوى داخلية هائلة لا حد لها وهي لا تتكشف إلا عندما تبلغ المأساة ذروتها . وبالرغم من محاولة الأبوين اخفاء حقيقة مرضه ، فانه عندمـا علم به واجهه بكل شجاعة ، ولم تخنه شجاعتـه هذه طوال عام وبضعة أشهر ، مع أكثر من ثلاثة وثلاثين من أشهر الأخصائيين وعمداء الطب ، منهم تريسي بوتنام ، ووايلدر بنفيلد ، وجيرسون ، ولم تخنه شجاعتـه مع تعدد الجراحات والعقاقير ، بدءا باستخدام غاز الخردل الثمين السام ، مرورا بالعلاج بأشعة اكس ، والبنسلين ، وانتهاء باللجوء إلى استخدام نظرية الغذاء وسيلة للعلاج . لقد كان جوني مدركا علميا لخطورة مرضه ، فواجهه بشجاعة لا نظير لهـا حتى جاءت النهايـة التي لا مفر منهـا في الساعة الحادية عشرة من مساء الاثنين ٣٠ يونيو ١٩٤٧ م .

ومن هنا فان المعاناة التي مرت بأسرة « جون جنتر » هي التي أعطت مذكراته « ترفق يا موت » هذا الجيشان وهذا الزخم من العاطفة ، يقول الأب المؤلف المكلوم فؤاده : « كتبت هذا الكتاب في عجالة ، دون إعمال الفكر فيه تقريبا ، استجابة لحوافز داخلية عنيفة في ذات نفسي » ، ويقول مقدم الترجمة العربية الأستاذ الصحفي محمد زكي عبد القادر : « لو تأنق فيه ما بلغ ما بلغه من تأثير في جماهير الناس ، فالتأثير الذي أحدثه جاء من صدقه وبساطته ، وليس من الفن الذي أفرغ فيه » ويقول الأب المؤلف في فصل النهاية : « وودعناه أنا وفرانسز وجمع حاشد من أصدقائنا ، ومع ذلك فهو بالنسبة لكل من عرفه لايزال حيا . ولست أعني بهذا أنه لايزال حيا فينا كليا أو في أشجار دير فيلد ، أو في أي شيء لمسه حقا ، وانما عنيت أن تأثير وأثر الشخصية البطولية يظل ذكرى حية في النفوس . »

وقد نشر « جون جنتر » فصول ذكرياته أول الأمر في مجلة نسائية أمريكية ، ثم نشر ملخص الذكريات في مجلة « المختار » العالمية ، ونشر النص الكامل للذكريات ويوميات جوني الصغير ، كما ترجم إلى اللغات اليابانية والصينية والايطالية والأسبانية والفرنسية ، والهولندية والألمانية والسويدية والبرتغالية وغيرها ، وعندما نشر الكتاب في سنواته الأولى ظل الأبوان « فرانسز » و « جون جونتر » يتلقيان سيلا من الخطابات من جميع أنحاء العالم ، وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي لقيته المذكرات ، فان جون جنتر رفض رفضا قاطعا أن تمس السينما الهوليودية أو محطات التليفزيون الأمريكية الكتاب ، فهو يرى أن قداسة الألم العميق والشجاع لجوني ينبغي ألا تكون مصدرا لمكسب مادي .. ان ذكريات « ترفق يا موت » للكاتب الأمريكي «جون جنتر» تستحق أن تستأثر بمكانة مرموقة في تاريخ الرواية الأدبية الانسانية □



* يواصل البحاثة السوري الأستاذ حسان الكاتب اصدار « الموسوعة الموجزة » في حلقات ، تضم كل حلقة منها حرفا من حروف الهجاء . وقد وصل حتى الآن إلى حرف الفاء .. وصدرت هذه الموسوعة عن مطابع ألف باء بدمشق .

* وفي الوقت عينه صدر الجزء الخامس من « موسوعة المورد » التي يعدّها العلامة اللبناني الأستاذ منير البعلبكي في عشرة أجزاء ضخام . وتنشر الموسوعة دار العلم للملايين .

* من أضخم الدراسات الأدبية التي صدرت في طبعة محدودة كتاب « محمود ابن الحسين البغدادي المعروف بأبي الفتح كشاجم في آثاره وآثار الدارسين » ، وهو الأطروحة التي نالت بها الأديبة المعروفة الدكتورة ثريا عبد الفتاح ملحس درجة دكتوراة الدولة بأعلى مراتب الشرف . ويقع هذا الكتاب الضخم في أكثر من ٩٠٠ صفحة من القطع الكبير ، وقد نشرته دار الكتاب اللبناني . كما صدر للدكتورة ثريا كتاب « منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين » ، وهو يرشد الباحثين إلى اعداد أطروحاتهم ورسائلهم الجامعية وفقا للنسق الأكاديمي المتبع . وقد صدر هذا الكتاب بدوره عن دار الكتاب اللبناني .

* التطورات الجديـــدة في علم الباراسيكولوجي كانت موضوع كتاب ضخم من جزءين يقع في ١٦٠٠ صفحة أعده الباحث الدكتور رؤوف عبيد بعنوان « الجديد في التكوين الروحي وأسرار السلوك بعد التحول من السيكولوجي إلى الباراسيكولوجي » . وقد نشرت الكتاب دار الفكر العربي .

* صدرت طائفة من كتب الدراسات الأدبية منها : « اللغة العربية المعاصرة » للعلامة الراحل الدكتور محمد كامل حسين ونشر دار المعارف ، و « معايير الحكم الجمالي في النقد الأدبي » للدكتور منصور عبد الرحمن ونشر دار المعارف ، و « الدراسات العربيـــة والاسلامية في أوربا » للدكتور ميشال جحا ونشر معهد الانماء العربي في بيروت ، و « البحتري بين نقّاد عصره » للأستاذ صالح علي ونشر دار الأندلس في بيروت ، و « نظرات في أصول الأدب والنقد » للدكتور بدوي طبانة ونشر دار عكاظ ، و « تطور فن القصة العربية اللبنانية » للدكتور علي نجيب عطوى ونشر دار الآفاق الجديدة ببيروت ، و « دراسات في الأدب العربي : العصر العباسي » للدكتور محمد زغلوم سلام ونشر القاهرة ، وطبعة جديدة من « الشعر العراقي الحديث والتيارات السياسية والاجتماعية » للدكتور يوسف عز الدين ونشر دار المعارف .

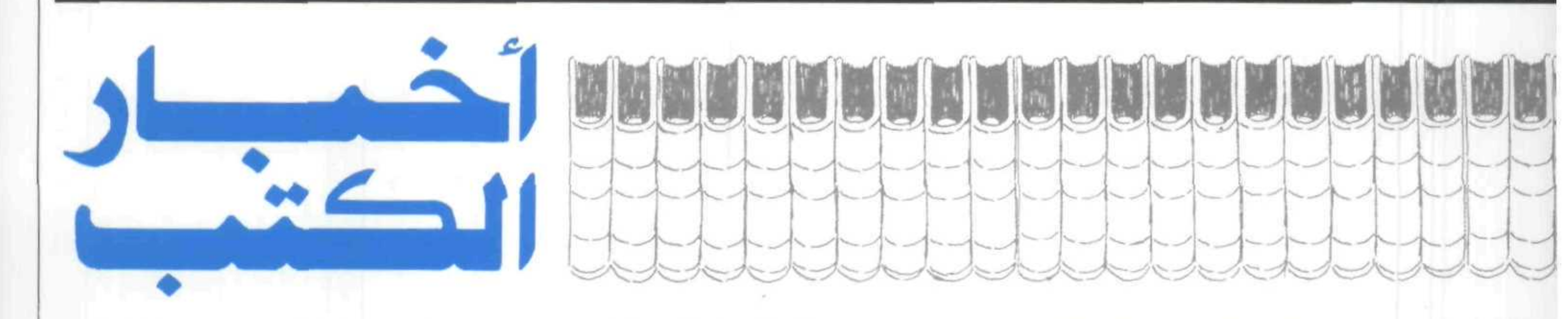
* « حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة » عنوان كتاب جديد للأستاذ رشيد الجميلي صدر عن دار الكتاب والتوزيع في ليبيا .

* تصدر قريبا طبعة جديدة مزيدة من كتاب « فن الترجمة في الأدب العربي » للاستاذ محمد عبد الغني حسن عن دار ومطابع المستقبل .

* ظهر للصحفي الراحل محمد زكي عبد القادر بعد وفاته كتاب « نحو النور » يضم مختارات من فصوله اليومية التي كان يكتبها بهذا العنوان فيضيئ بها طريق الشباب الطالع بحكمته وتجاربه ومطالعاته . وقد صدر الكتاب في سلسلة « كتاب اليوم » .

* من الكتب الطبية التي صدرت أخيرا : « ٣٠٠ سؤال عن طفلك » للدكتور محمد حمزة سيد الأهل ، وقد صدر في سلسلة « كتاب اليوم الطبي » و « الحشرات الناقلة للأمراض » للدكتور جليل أبي الحب وقد صدر في سلسلة « عالم المعرفة » الكويتية ، و « رحلة صحفية مع الطب والعلم في الصين » للأستاذ صلاح جلال ونشر دار المعارف .

* صدر أخيرا الجزء السادس من كتاب الأستاذ جعفر الخليلي « هكذا عرفتهم » وهو يتناول سير ستة من الأدباء الذين عرفهم هم عبد الحسين الأزري ، والشعراء المهجريين الياس فرحات وجورج كعدي والدكتور سليمان داود ، والشاعر العراقي أحمد الصافي النجفي ، والأديب العراقي فؤاد عباس . وقد صدر الكتاب عن مطبعة دار الكتب ببيروت .



أخبار الكتب

* ومن كتب السير التي ظهرت أخيرا « الشماخ بن ضرار الذبياني » للدكتور صلاح الدين الهادي ونشر دار المعارف ، و « جبران خليل جبران في حياته العاصفة » للدكتور جميل جبر ونشر مؤسسة نوفل ، و « قيثارة التوحيد : الشاعر عبد الله شمس الدين » للأستاذ عبد العليم المهدي ونشر مطبعة التقدم ، و « الأعمش الظريف : أخباره ونوادره » للدكتور أحمد محمد الضبيب ونشر دار الرفاعي بالرياض ، و « محمد مندور الناقد والمنهج » للدكتور غالي شكري ونشر دار الطليعة ببيروت ، وطبعة خامسة من « عثمان بن عفان » للعلامة الراحل الدكتور محمد حسين هيكل ونشر دار المعارف ، و « قصة حياتي » للعلامة الراحل أستاذ الجيل أحمد لطفي السيد بمقدمة للأديب الراحل الأستاذ طاهر الطناحي ونشر دار الهلال ، و « الشيخ طنطاوي جوهري : دراسة ونصوص » للدكتور عبد العزيز جادو ونشر دار المعارف .

* يصدر قريبا كتاب عن الشاعر الراحل الدكتور إبراهيم ناجي للدكتور رؤوف سلامة بن موسى .

* اسهاما من مجمع اللغة العربية الأردني في حركة تعريب العلوم الحديثة قام بترجمة كتابين جديدين من كتب أساسيات العلوم هما « الكيمياء العامة » لفردريك لونغو ، و « الفيزياء الكلاسيكية والحديثة » لكنيث فورد .

* صدر للأديب الراحل حسين القباني كتاب جديد عنوانه « حول العالم على كرسي متحرك » وقد نشرته شركة مكتبات عكاظ .

* عن العرب ودورهم في الحضارة والفلسفة صدرت ثلاثة كتب هي : « دراسات في الأدب والفلسفة عند العرب » للأستاذ فائز عون ونشر دار نعمان للثقافة في بيروت ، و « تمهيد لتاريخ مدينة الاسكندرية وفلسفتها » للدكتور الراحل نجيب بلدي . و « الرؤية الحضارية للتاريخ عند العرب والمسلمين » للدكتور قاسم عبده قاسم . وقد نشرت الكتابين الأخيرين دار المعارف .

* عن « توطن البدو » صدرت دراسة للدكتور اسماعيل عبد الباري نشرتها دار المعارف .

* من كتب الفنون التي صدرت أخيرا : « فن الالقاء » للفنان الراحل عبد الوارث عسر وقد نشرته الهيئة المصرية العامة للكتاب ، و « الديكور المسرحي » طبعة ثانية للدكتور لويز مليكة ، و « الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي » للكاتبة سوسن عامر ، وصدر الكتابان الأخيران عن الهيئة المصرية أيضاً .

* طائفة من الدواوين الجديدة صدرت في الأوان الأخير منها : « المزاهر » للأستاذ نعمان ماهر الكنعاني ونشر وزارة الثقافة العراقية ، و « مأساة الوجه الثالث » للأستاذ أحمد عنتر مصطفى ونشر الهيئة المصرية ، و « الدخول إلى الضفاف » للأستاذ عزيز الواسطي ونشر مطبعة الجامعة في بغداد .

* صدرت للأستاذ عبد الله عبد الغني خياط كتاب « تأملات في دروب الحق والباطل » في سلسلة « الكتاب العربي السعودي » لدار تهامة .

* في علم الاجتماع صدر بعض الكتب الجديدة منها « السلوك الاجتماعي للفرد » من تأليف الدكتورين محمد مصطفى زيدان ويوسف القاضي ، و « الخدمة الاجتماعية المدرسية » للأستاذ محمد سلامة غباري ، والكتابان من نشر مكتبات عكاظ ، و « علم الاجتماع » للدكتور عبد الحميد لطفي ، و « نظرية علم الاجتماع : طبيعتها وتطورها » للدكتور محمد عاطف عيد ، و « البنائية الوظيفية في علم الاجتماع » للدكتور علي ليلة ، وكلها من نشر دار المعارف .

* في سلسلة « عالم المعرفة » الكويتية صدر كتاب « النفط والعلاقات الدولية : وجهة نظر عربية » للدكتور محمد الرميحي □

كتب مهداة

* « تاريخ الكعبة المعظمة .. عمارتها وكسوتها وسدانتها » من تأليف المغفور له الشيخ حسن عبد الله باسلامة ، وهذا الكتاب الذي يقع في حوالي ٤٠٠ صفحة من الحجم المتوسط هو عبارة عن دراسة تاريخية للكعبة المشرفة □



* « شروخ في وجه الأسفلت » مجموعة قصصية من انتاج اللجنة الثقافية من تأليف القاص السعودي عبد الله السالومي وجميع أبطـال وشخصيات هـذه الأقصوصات مستمدة من الواقع الاجتماعي. وتعتبر هذه المجموعة عملا أدبيا صادقا بمحتواها الداخلي ، وبمضامينها الانسانية. لأنها استطاعت أن تعرض جزئيات صغيرة وكليات أخرى مهمة في حياتنا اليومية والعامة . وتقع هذه المجموعة في ٨٠ صفحة من القطع المتوسط وتشتمل على احدى عشرة قصة □

* « جسور إلى القمة » وهي محاولة جيدة قام بها الأديب السعودي المعروف عزيز ضياء ، لتسليط الأضواء على أعلام الفكر والأدب والفن الذين تركوا بصمات واضحة في مختلف جوانب الحياة الانسانية ستة وخمسين مشهدا تمثل حياة البادية وما فيها ، وتقع في ١٢٤ صفحة من الحجم العادي ، وهي من نشر تهامة بالمملكة العربية السعودية □



* « الشوق إليك » وهو مسرحية شعرية للأستاذ حسين عبد الله سراج وتضم وهو عبارة عن مجموعة شعرية عبر فيها الشاعر عن المعاناة التي واجهها اثناء تجواله في أرض الله . متخيلا خلالها رحلات ابن بطوطة والمشاق والصعاب التي واجهها إذ ذاك □



* « العقل لا يكفي » للكاتب القصصي السعودي محمد علي الشيخ وهو مجموعة قصص ملتصقة بالواقع المعايش . وهذه المجموعة القصصية تحتوي على ١٥ أقصوصة تقع في ١٢٤ صفحة من القطع المتوسط ، وهي من اصدارات دار تهامة للمطبوعات □



* « الامكانات النووية للعرب واسرائيل ودورها في الصراع العربي الاسرائيلي » عنوان لكتاب جديد صدر عن مطبوعات تهامة لمؤلفه الدكتور صدقة يحيى مستعجل. ويحاول المؤلف من خلال كتابه هذا تعريف القارئ بموضوع القوة النووية واستخدامها ويستعرض فيه أهم التطورات والأحداث النووية بين العرب واسرائيل ، مع مناقشة حول ما يمكن أن يلعبه السلاح النووي من دور في الصراع العربي الاسرائيلي . ويعتمد المؤلف في كتابته على أسلوب الشمول المبسط المختصر نظرا لقلة ما كتب حول هذا الموضوع . ويعتمد جزء كبير من الكتاب على رسالة علمية قدمها المؤلف لنيل

كتب مهداة

شهادة الماجستير في العلاقات الدولية . ويقع الكتاب في ٣٤٥ صفحة □



* صدر مؤخرا عن شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع كتاب بعنوان « التعليم العالي في المملكة العربية السعودية بين التقليد والتجديد » بقلم الدكتور صبحي عبد الحفيظ قاضي ، رئيس قسم الدراسات العامة بجامعة البترول والمعادن بالظهران ، وقد القى الضوء على تاريخ التعليم العالي عند العرب وداخل الحدود الإسلامية وعلى أنواع مؤسسات التعليم العالي في بعض دول العالم الغربي وعلى واقع التعليم العالي في المملكة بين التقليد والتجديد مستعينا باستقراء الوقائع التاريخية معتمد اعلى الاحصاءات . ويقع الكتاب في ٦٨ صفحة من القطع المتوسط□

* من مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة بجمهورية مصر العربية وافتنا الأديبة جميلة العلايلي بكتابها « قصة بين أبوين » تبحث فيها المؤلفة عن التناقض في المشاعر والأفكار لدى الناس الذين يخضعون راضين أو كارهين لقوة خفية غير مدركة تدفعهم للكفاح أو تقعد بهم دونه مستسلمين للركود والملل لضعف ايمانهم وتفسيرهم عقيدة التوكل تفسيرا خاطئا لا ينتمي إلى الحقيقة بصلة .. فعمل بلا توكل على الله لا يجدي وتوكل مع عمل لاثبات قدرة الخالق التي استودعها المخلوق سمة من سمات الموت .. وتقع هذه القصة في ٢٢١ صفحة من القطع العادي □



* «أيامي» .. عنوان قصة للأديب أحمد السباعي ، ورغم أنهـا تمثل جانبا من جوانب حياة المؤلف ، فانهـا تطرح في الوقت نفسه قضية هامة تتمثل في أصول التربية وكيفية العناية بالجيل الجديد . ويناقش الأديب السباعي بين سطور كتابه الأساليب القاسية التي اتبعها الآباء لما ظنوه حقا ودربا سليما لتعلم الانسان .. صدر الكتاب تحت سلسلة « الكتاب العربي السعودي » تحت رقم ٧٨ من اصدارات تهامة الحديثة وهو يقع في ١١٧ صفحة من القطع العادي □



* « مدائن الظلال » ديوان جديـد للشاعر محمد رضا آل صادق ، حوى عددا من القصائد التي كتبها في مناسبات عديدة والتزم فيها عمود الشعر العربي ، وقد صدر الديوان عن مطبعة الحوادث في بغداد وساعدت وزارة الاعلام في تكاليف طباعته □

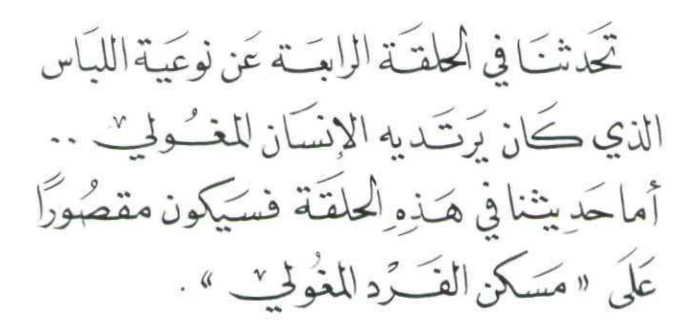
* من ضمن اصدارات « تهامة » في سلسلة الكتاب العربي السعودي ديوان شعري بعنوان « رسائل إلى ابن بطوطة » للأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي . وقد اتسمت هذه المحـاولات بالنظرة الانسانية الشمولية ، وهذا الكتاب الذي يقع في ٣٤٣ صفحة من الحجم المتوسط ، يمثل الجزء الأول . وقد وعد الأستاذ المؤلف بإعداد الجزء الثاني مستقبلا . وهو من اصـدارات « دار تهامة » للمطبوعات □



بيئة المغول وحياتهم الاجتماعية (٥)

مسكن الفرد المغولي

بقلم: د. سعد حذيفة / الرياض



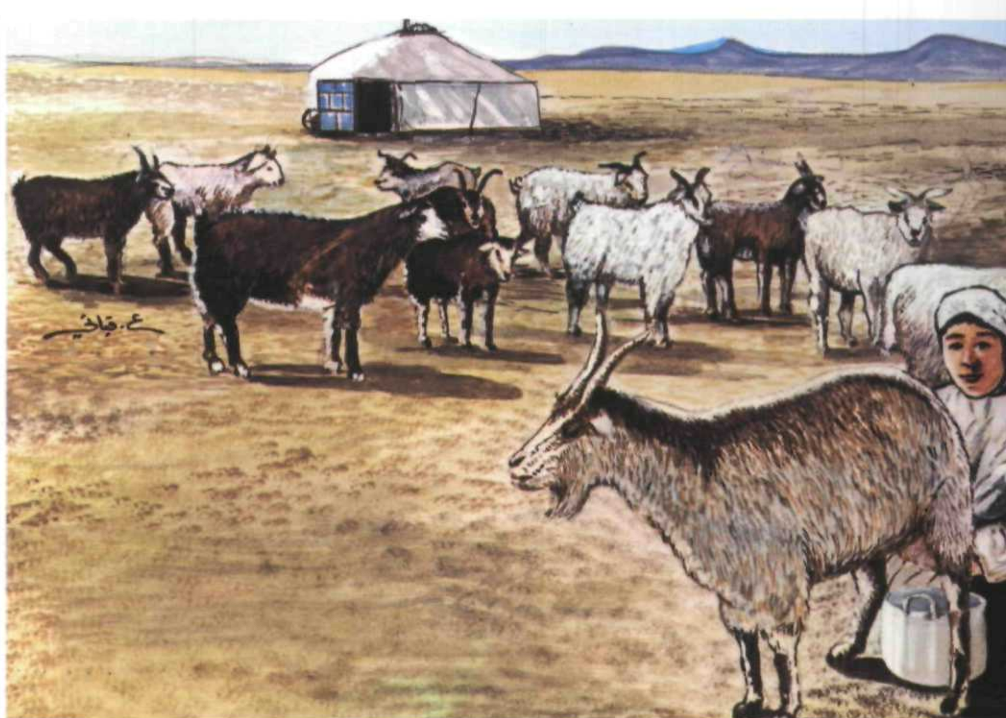
تحدثنا في الحلقة الرابعة عن نوعية اللباس الذي كان يرتديه الإنسان المغولي.. أما حديثنا في هذه الحلقة فسيكون مقصورا على «مسكن الفرد المغولي».



كان المجتمع المغولي ومازال حتى الآن مجتمعا بدويا حيث يعتمد على رعي وتربية المواشي. فهو اذن مجتمع رعوي بشكل عام، يعيش حياة التنقل والترحال. لذلك، فان الرجل المغولي أوجد لنفسه مسكنا مناسبا لتلك الحياة غير مستوطنة لبقعة بعينها، أو مكان مخصص. فإذا ما جاء فصل الربيع شرع المغولي في إعداد العدة للتحرك تدريجيا نحو المناطق الشمالية من البلاد، وذلك هربا من وطأة الحر وشدة القيظ في فصل الصيف. فيتحرك بمنازله، أو بمنزله، ومواشيه، التي تحكم سرعته أثناء رحلته الاصطيافية — إن حق لنا أن نسميها بهذه التسمية. وتأخذ درجة حرارة الجو في الانخفاض حتى تصل قافلته إلى اقصى ما تستطيعه شمالا حيث يميل الجو إلى الاعتدال، فيجد الماء والعشب والكلأ. أما إذا جاء وقت بدأ فيه الجو يميل إلى البرودة، منذرا بقرب وصول الشتاء، وبالذات في أواخر فصل الخريف، فان المغولي يبدأ رحلة العودة، حيث يعود أدراجه متجها نحو الجنوب، ليقي نفسه وماشيته برد سيبيريا الشتوي القارس.

وعلى العموم، فان المغولي يصطحب منزله محمولا جاهزا معه اينما ذهب وحيثما سار. لأن الرجل المغولي (أو بالأحرى المرأة المغولية أو هما معا) يصنع منزله بصفة أساسية من أغصان الشجر، ويستخدم الأعواد الخفيفة ذات الاستقامة كمادة أولية في عمل منزله. فيقوم بتصفيفها، وحزمها بشكل مرصوص بعضها مع بعض لتكون غاية في الترابط والقوة. فيحيكها بصورة تجعل رؤوس الأعواد مجتمعة في وسط سقف المنزل بشكل مخروطي، حيث تنتهي في أعلاها بكوة، وهكذا، حتى تنتهي عملية بناء المنزل، وتكون القاعدة، التي يقوم المسكن عليها، دائرة من العصي الغلاظ، إذ تحبك الأعواد، وتربط في تلك العصي. ومن خلال تلك الفتحة التي هي مجمع رؤوس الأعواد يدخل الضوء إلى الداخل ليضيء أرجاءه، ومنها أيضاً ينفذ دخان نيرانهم الكثيف التي توقد في وسط المنزل.

وهذا المنزل، أو البيت، شبيه لما رآه وسكنه ابن بطوطة أثناء رحلته في بلاد القبيلة الذهبية في اقليم القبتشاق، حيث يقول بأنه أعطي



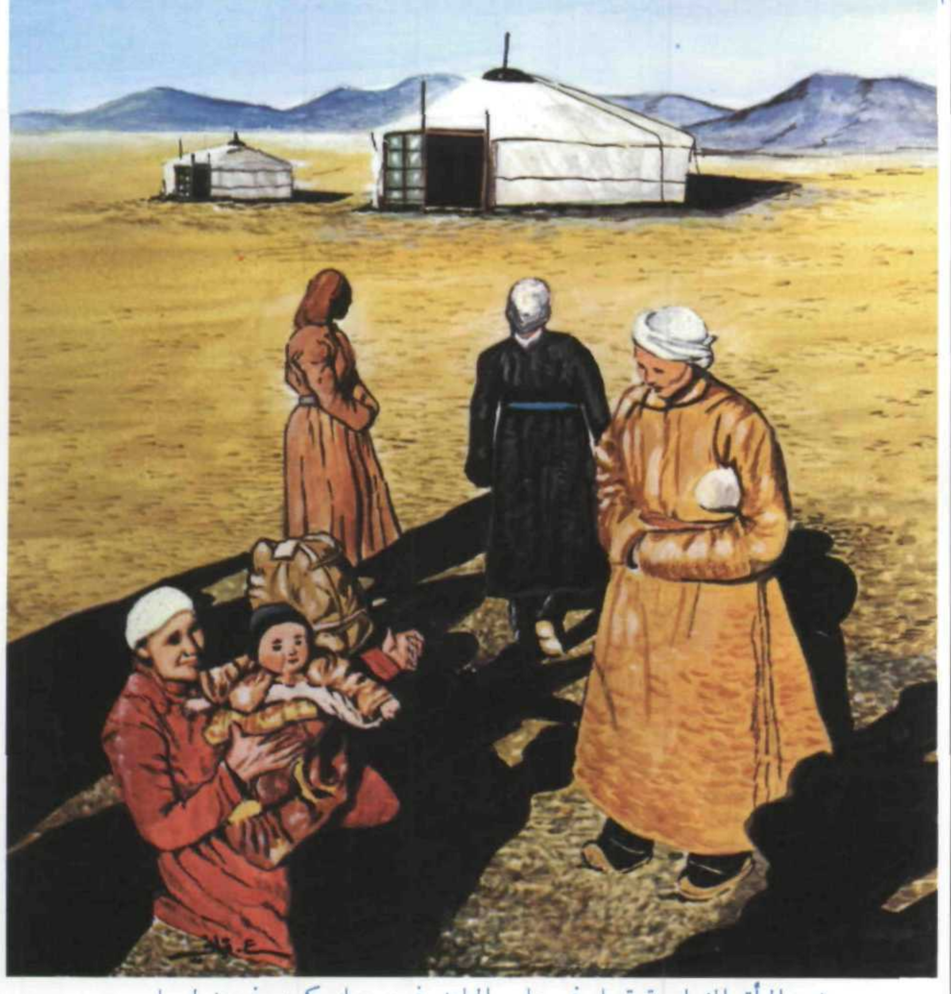


بيتا يسمى لدى مغول القبيلة الذهبية « الخرقة » (١) . وهي عصي من الخشب تجمع شبه القبة ، وتجعل عليها اللبود ، ويفتح أعلاه لدخول الضوء والريح ، ويسد متى احتيج إلى سده (٢) .

بعد ذلك ، وكما ذكر ابن بطوطة ، يقوم المرء المغولي بعمل غطاء خارجي لبيته ، يصنعه من اللبود الأبيض . ومع ذلك ، فهو في أغلب الأحيان يغطي غطاء بيته الخارجي ، والمصنوع من اللبود ، بغطاء خارجي فوقه ، أي فوق اللبود ، مستخدما مادة الكلس أو الصلصال الأبيض في عمل ذلك الغطاء العلوي . بعد ذلك ، يقوم بذر مسحوق أبيض ، غالبا ما يكون مسحوق العظام ، ليجعل منزله يبدو أشد بياضا . وفي بعض الحالات يجعل المغولي لون منزله من الخارج أسود .

أما المنطقة العلوية ، التي تحيط بالفتحة أو الكوة مصدر النور والهواء ومنفذ الدخان ، فانهم يزينونها بتشكيلات من الألوان المتنوعة ، فتجعل منظرها جميلا . ثم يزين مدخل داره ، والمصنوع من اللبود ، برسوم وأشكال متعددة الألوان ، تمثل البيئة المغولية . وغالبا ما تكون هذه الرسومات على شكل طيور ، أو حيوانات بشتى أنواعها ، أو أشجار ، وخاصة من النباتات المتسلقة .

قد يقيم المرء المغولي منزله ذاك على الأرض ، ولكنه في الغالب يقيمه فوق عربة مخصصة لهذا



١ – هذه الكلمة في الحقيقة هي « الخركاه » كلمة فارسية تعني الكوخ أو الخيمة وقد تعني السرادق .

٢ – ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ، ص / ٣٠٠ .

١ – المرأة المغوليـة تعمل في حلب الماعز في صحراء كوبي في مغوليـا .
٢ – البيت المنغولي شكل فريد في تصميمه ونوعيته .
٣ – بعض النسوة المنغوليات كما يبدون في اللباس الحديث .

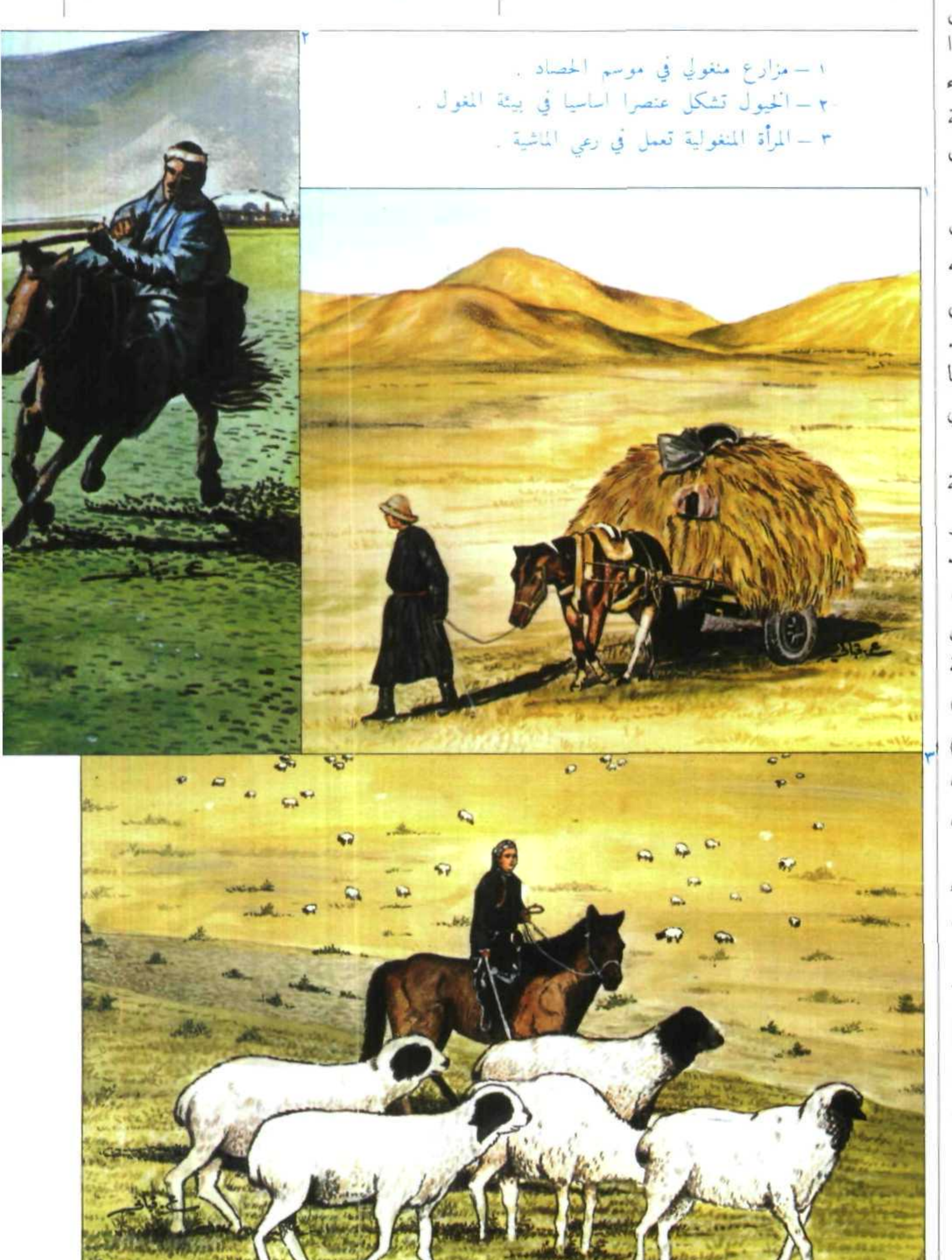
الغرض ، وذلك ليسهل عليه الانتقال به وهو مقام على حالته . وعندما يرغب في السفر ، أو الارتحال من مكانه ذاك ، يأتي بحيواناته أمام ذلك المنزل ويربط مقدمة المنزل (أو العربة المنزلية) إن صح لنا تسميتها بهذا ، في رقاب وظهور تلك الحيوانات ، وتقوم بجر منزله ذاك وهو مقام على حالته ، فلا يشقى في بنائه من جديد عندما يحط الرحال في المكان الذي يرغب اقامة بيته فيه . وقد يقوم بانزال بيته هذا من على العربة ، فيجعله على الأرض ، حيث يستطيع ذلك ، وبشكل سهل ، لأنه خفيف الحمل ، تساعده زوجته ، أو زوجاته ، اللائي يقمن بهذه العملية في أغلب الحالات ، إذ أن هذا النوع من العمل هو من اختصاص النساء عندهم ، وقد يتساعد على انزال البيت مجموعة من الناس ، يختلفون في العدد باختلاف حجم البيت .

يختلف حجم بيت الرجل المغولي باختلاف مكانته في مجتمعه وبين قومه ، وبمدى ما يتمتع به من ثروة وجاه . كما يختلف عدد البيوت التي يملكها باختلاف عدد زوجاته وأتباعه وخدمه . وفي الحقيقة قد يصل عدد البيوت التي تملكها احدى زوجات الرئيس ، أو الخان المغولي أكثر من أربعمائة بيت .

وحول هذا الموضوع ، يحدثنا الرحالة المسلم « ابن بطوطة » أن « الخاتون » (وهو يعني هنا الملكة) زوجة الخان المغولي محمد آزبيك (٣) ، يمشي وراء عربتها مائة عربة ، في كل عربة ثلاث أو أربع من الجواري وخلف هذه العربات نحو ثلاثمائة عربة تجرها الجمال والبقر وتحمل خزائن « الخاتون » وثيابها واثاثها وطعامها ، ومع كل عربة غلام موكل بها ، وهو متزوج باحدى الجواري إذ لا يقبل أن يخدم في هذه العربات من لم يكن متزوجا (٤) .

تقوم المرأة المغولية العادية المتزوجة ببناء بيت خاص بها على عربة يصفه لنا الرحالة « وليم الربركي » بأنه غاية في الاحكام والاتقان ، وفي منتهى الجمال ، بحيث أصبح من الصعب عليه أن يقوم بعمل رسم أو وصف كامل لجمال ذلك المنزل الذي تصنعه المغولية لنفسها ، ويتمنى أن يكون رساما ليرسم لنا شكله الرائع .

أما حجم المنزل المغولي ، فكما قلنا ، يتراوح ما بين الصغير ، والمتوسط ، والكبير . فالصغير منها يقام على عربة صغيرة يجرها حيوان واحد (حصان ، أو ثور ، أو جمل) . أما الكبير منها فقد يبلغ عرضه من جانب إلى الجانب الآخر ما يقارب تسعة أمتار . والمسافة التي تفصل بين عجلتي العربة من جانب إلى الجانب الآخر ، تبلغ حوالي ستة أمتار . فالمنزل المقام على عربة من هذا النوع يبرز عن عجلة العربة مسافة أكثر من متر ونصف المتر على كل جانب من جوانب العربة (٥) . تقوم الحيوانات بجر هذه البيوت ، الصغيرة منها والكبيرة ، غير أن عدد هذه الحيوانات المستخدمة لجر هذه البيوت يتوقف على حجم البيوت . فالبيت الكبير مثلا – يقوم بجره اثنان وعشرون ثورا ، حيث يوضع احد عشر ثورا جنبا إلى جنب في صف عبر حجم عرض العربة ، بينما يوضع الأحد عشر ثورا الأخرى أمام



١ – مزارع منغولي في موسم الحصاد .
٢ – الخيول تشكل عنصرا اساسيا في بيئة المغول .
٣ – المرأة المنغولية تعمل في رعي الماشية .

٣ – هو أحد الخانات المغول الذين حكموا مملكة المغول المعروفة في التاريخ بـ « القبيلة الذهبية » ، حكم من سنة ٧١٣ هـ / ١٣١٣ م إلى سنة ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م . وهم كما نعرف اعتنقوا الإسلام وحكموا وساروا بمنهجه شتى مناحي حياتهم .

٤ – ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ، ص/ ٣٣٤ . حول هذا الموضوع ، أنظر : جون البلانو الكربيني ، « تاريخ المغول » ، تحقيق : دوسون ، « البعثة المغولية » ، ص/ ٨ .

الأولى ، فتجر البيت بحبال مثبتة باحكام في سارية كبيرة ، توضع في مقدمة العربة ، وهذه السارية كبيرة جدا في حجم سارية السفينة . يقف السائق في باب المنزل ، ويدير عملية الرحلة تلك .

عندما يحط المغولي رحاله ، فانه يقيم منازله متجهة على الدوام نحو الجنوب ، ثم تقوم الزوجة الكبرى (أي الزوجة الأولى) باقامة منزلها في أقصى الجهة الغربية من المخيم . ثم يلي منزلها ، منزل الزوجة التي تحتل المرتبة الثانية ، ثم التي تليها ، وهكذا ، واحدة تلو الأخرى ، حسب درجتها ، حتى الزوجة الأخيرة التي يكون منزلها في آخر المخيم من جهته الشرقية . ويفصل كل بيت عن البيت الآخر مسافة رمية الحصاة . ويجعل بيت رئيس المخيم في الناحية الشمالية من منازله ، كما تجعل بيوت النساء في الناحية الشرقية ، أي إلى اليسار من رجالهن عندما يجلس أحدهم في داره ، وهو متجه إلى الجنوب ، وتقام منازل الرجال ، في ذلك المخيم ، في الجهة الغربية أي إلى اليمين من منزل الرئيس .

هناك نوع آخر من بيوت العربات صغير الحجم ، حيث يقوم بجره حيوان واحد فقط ، وغالبا ما يكون جملا . وهذا النوع من العربات المنزلية مخصص لنقل الفراش واللباس . وما غلى ثمنه من أنواع الزينة من ذهب وفضة وغير ذلك .

ويوضع هذا النوع من الزينة في صناديق يصنعونها أيضاً من فروع الأشجار وأغصانها . ثم يصنعون لكل صندوق غطاء أو سقفا مدورا ، من تلك الأعواد نفسها ، ثم يترك بابا صغيرا في نهايته من الامام ، وبعد ذلك يغطونه بلبد أسود اللون ، مبال بحليب الغنم ، أو بالودك وذلك لوقاية محتويات الصندوق من البالل عند عبور النهر أثناء السفر والتنقل والترحال . وهذه الصناديق يقوم المغولي بتزيينها برسوم وصور ذات ألوان وأشكال مختلفة . ويجعلونها في تلك العربات المنزلية حيث يقومون بربطها باحكام .

ان هذه العربات تصنع بشكل راق بخلاف بقية العربات ، وذلك لتناسب ربطها بظهور الجمال التي تقوم بجرها ، ولتفادي وصول الماء إليها عند عبور نهر ما أثناء الترحال من مكان إلى آخر .

وفي الحقيقة ، فان المغولي بعمله هذا لا يعتبر رجلا مسافرا عندما يتنقل من مكان إلى آخر ، فهو مسافر وهو مقيم في آن واحد ، لأنه يسكن داخل منزله الذي تحمله العربات ، وتجره الدواب (خيول أو أبقار أو جمال) ، فهو « ... ، يتقلب فيها كما يحب وينام ويأكل ويقرأ ويكتب ، وهو في حال سيره ، والتي تحمل الأثقال والأواد وخزائن الأطعمة من هذه العربات يكون عليها شبه البيت .. » .

والمغول أثناء السفر ، يسيرون في أغلب الأحيان في شكل مجموعات شبيهة بالقوافل الإسلامية في درب الحجاز ، يرحلون وقت صلاة الفجر ، وينزلون في وقت الضحى ، ويرحلون بعد الظهر ، وينزلون في وقت العشي ، وإذا نزلوا ، أطلقوا الخيل والابل والبقر للرعي ليلا أو نهارا (٦) .

وعندما يحط المغول الرحال ، ويضعون واجهات منازلهم بالشكل الذي أوضحناه سابقا ، يقومون بتنظيم تلك العربات المنزلية المخصصة لحمل الصناديق الخاصة بأشيائهم الثمينة في صفين من المنازل . وكلما كثر عدد زوجات الرجل المغولي ، وزاد ثراؤه زاد عدد المنازل التي يملكها من هذا النوع وذاك . لذلك فانه يبدو مخيم رجل موسر وكأنه مدينة كبيرة واسعة الأرجاء (٧) .

بعد مضي أكثر من مائة سنة من رحلتي « جون البلانو الكربيني » و « وليم الربركي » يصف لنا الرحالة « ابن بطوطة » المنزل المغولي الذي يقام للسكن في اقليم « الدولة الذهبية المغولية » ذلك الوصف الذي لا يكاد يختلف عن ذلك المنزل الذي كان يسكنه المغول في موطنهم الأصلي في منغوليا منذ مئات السنين . ويبنى البيت على شكل قبة من قضبان خشب مربوط بعضها إلى بعض بسيور من الجلد الرقيق ، ثم يجعل على عربة خاصة لحمله ، حيث أنها خفيفة الحمل ، وتكسى باللبود أو الملف (وهو من الجوخ) ويكون فيها طبقات مشبكة ، حيث يرى الذي بداخلها الناس ولا يرونه . وتنقل هذه المنازل على عربات ، وهي عجلات تكون للواحدة منهن أربع بكرات كبار . ومن هذه العربات ما يجره فرسان ، ومنها ما يجره أكثر من ذلك . وتجرها أيضاً البقر والجمال ، حسب حال العربة الواحدة في حجمها من حيث ثقلها وخفتها . ويركب السائق لتلك العربة في المقدمة على سرج وفي يده سوط يحركها به للمشي ، وعود كبير يصوبها به إذا عاجت عن القصد .

---

٥ – وليم الربركي « رحلة وليم الربركي » ص/ ٩٤ ، أنظر أيضاً : ماركوبولو ، « وصف العالم » ج ١ ص / ١٦٨ – ١٨٩ (نقلا عن « اسبولر » تاريخ المغول ، ص/١٧٢) .

٦ – أنظر ، ابن بطوطة ، « رحلة ابن بطوطة » ، ص / ٣٢٤ ، أنظر أيضاً الصفحات ٣٣٠ – ٣٣٠ .

٧ – نفس الحواشي الثلاث السابقة ، ونفس الصفحات .



لبن الفرس المشروب المفضل في كل بيت منغولي .

وقد شاهد « ابن بطوطة » قافلة مغولية من هذا النوع تنتقل من مكان إلى آخر ، فيقول : « ... ، وأقبلت المحلة (يعني القافلة التي تريد أن تحل بمكان الحل) ويسمونها الأرد (٨) ، بضم الهمزة ، فرأينا مدينة عظيمة تسير بأهلها ، المساجد والأسواق ، ودخان المطبخ صاعدا في الهواء وهم يطبخون في رحيلهم ، والعربات تجرها الخيل بهم ، فإذا بلغوا المنزل نزلوا البيوت عن العربات وجعلوها على الأرض ، وهي خفيفة المحمل ، وكذلك يصنعون بالمساجد والحوانيت (٩) .

مَنزل الفَرد المغولي من الداخِل

للبيت المغولي صفة معينة وترتيب خاص من الداخل ، وترتيب أي منزل ينطبق بحذافيره على المنازل المغولية الأخرى في شتى أنحاء أقاليم منغوليا . فلو دخل المرء بيتا واحدا ثم ذهب إلى بقية المنازل الأخرى لوجد النظام نفسه ، والترتيب عينه .

يقسم المغولي منزله من الداخل إلى أقسام معينة ، فيخصص لكل قسم من أسرته ، أو ضيوفه أو خدمه ، أو أطفاله ، أو حاجاته ، أو أمتعته ، أو حيواناته مكانا معينا في داخل بيته . فلو تصورنا المنزل على شكل خيمة كبيرة يفتح بابها إلى الجنوب ، وجعلنا أرضها من الداخل أربعة أقسام ، وذلك بوضع خط من منتصف مدخل الباب ، وحتى آخر الخيمة ، ثم قسمناه بخط آخر من المركز واتجهنا بالخط يمينا ويسارا حتى نهاية أرضها ، لسهل علينا معرفة نظام منزله من الداخل . فانبدأ من مدخل الباب ، ونتجه يمينا وندور فيه دورة كاملة حتى نخرج من الجهة اليسرى للباب .

عندما يدخل المرء من الباب ، فان أول ما يجده عن يمينه ويساره مكانا للحيوانات الصغيرة كالأغنام ، والماعز .. إلخ . يليها مباشرة مكان جلوس الخدم . توضع الأواني والأمتعة المنزلية في الجهة اليمنى مجانبة لحافة المنزل ، ثم يجلس أمامها النساء من أهل البيت ، يقابله من اليسار في الناحية الثانية مكان جلوس الرجال ، وأمام النساء الجالسات إلى اليمين مكان مخصص للنساء الزائرات ، ويقابله من الجهة الثانية من البيت (اليسرى) مكان جلوس الرجال الزائرين ، أي أنهم يجلسون أمام الرجال . ويحتل موقد النار المركز الأوسط من البيت . ويلي المساحة المخصصة لموقد النار ووقودها ، مكان الأقارب ، ثم بعده مكان الأطفال ، ثم مكان جلوس المضيفة (أي حاجبة المنزل) بعده مكان المضيف (أي صاحب البيت) . يقابل هذه الأماكن في الجهة المقابلة مكان مخصص لضيوف الشرف ، ويقع هذا المكان إلى اليمين من مجلس صاحب الدار عند جلوسه وهو متجه إلى الجنوب ، حيث يجلس على هذه الهيئة على الدوام . أما المكان المخصص لفراش النوم في آخر أرضية المنزل . ثم إلى الخلف من المكان المخصص لضيوف الشرف ، توضع الحقائب ، والأمتعة الجلدية ، والمواد الغذائية ، وإلى الخلف منها تعلق التماثيل .

يعلق المغولي صورة مجسدة تتدلى من أعلى المكان الذي يجلس فيه صاحب الدار ويسمى هذا التمثال « أخو صاحب الدار » ، كما يعلّق فوق المكان الذي تجلس فيه صاحبة المنزل ، تمثالا آخر على نفس النمط ، ويسمى « أخو صاحبة الدار » . ويعلق في الوسط (بين هذين التمثالين — وإلى الأعلى منهما) تمثالا آخر ، أقل سمكا وحجما من التمثالين الآخرين ، ويعتبر هذا التمثال الصغير حارس جميع البيت في نظرهم .

وعلى العموم ، فانه يمكن أن نعتبر النصف الأيسر من البيت (أي عندما يكون الاتجاه إلى ناحية الجنوب) مكانا مخصصا لجلوس النساء ، والنصف الأيمن مكانا خاصا للرجال . وتحتفظ سيدة البيت بمسند من جلد الماعز ، محشو إما بالقش الناعم وإما بصوف الأغنام والماعز وتجعله في مكان مرتفع قليلا ، وعليه تمثال صغير .

ويوضع عند المدخل الخاص بقسم النساء تمثال ومعه مجسدة ضرع بقرة ، وهذا التمثال خاص بالنساء اللواتي يقمن بحلب الأبقار وصرب لبنها ، لأن هذا المهمة تعتبر من وظائف النساء . كما يوضع عند المدخل الخاص بقسم الرجال تمثال آخر ، ومعه تمثال لضرع فرس ، وهذا التمثال مخصص للرجال الذين يقومون بحلب الأفراس وصرب لبنها ، حيث أن هذه العملية غالبا ما يقوم بها الرجال □

٨ — كلمة « أوردو » وليس « أرد » كما ذكرها ابن بطوطة ، كلمة تركية — مغولية ، تعني المخيم وساكنيه ، وعادة تطاق على كل مخيم لأمير مغولي تحت رئاسة احدى زوجاته . وهنا عمم معناها ، فشملت كل الركب وما حمل . كان بركه خان (٦٥٥ — ٦٦٥ ﻫ /١٢٥٧ — ١٢٦٦ م) حاكم اقليم القبتشاق أول خان مغولي يعتنق الإسلام ثم سلك سبيله الحكام الذين جاءوا من بعده ، وبفضل الله ثم بفضل هذه الأسرة المغولية المسلمة انتشر الإسلام في اقليم هذه البقعة ، وابن بطوطة زار هذا القطر المسلم أيام محمد أوزبك التاسع لهذه الأسرة .

٩ — ابن بطوطة ، « رحلة ابن بطوطة » ، ص/ ٣٣٠ — ٣٣١ .



الابل من وسائل النقل الرئيسية التي كان المغول يعتمدون عليها .



حي درب الحبوس حيث تكثر الصناعات المحلية من الأواني النحاسية والفضية ذات النقوش والزركشات الجميلة .

راجع مقال – « جولة في رباط الفتح »

تصوير شيخ أمين